أبو عبيد القاسم بن سلام

ثقافته العلمية وآثاره

بقلم

دكتور

عبد الله بن ربيع الحمود

أبو عبيد ، هو الإمام القاسم بن سلام ، الفقيه ، اللغوى . المحدث ، إمام عصره فى كل فن وعلم كما يقول صاحب معجم الأدباء »(١)

وقد كناه بعضهم بأبى عبيد الله(٢) ، وذكر صاحب طبقات المفسرين أن (سلاما) الذى هو اسم أبيه ينطق بتشديد اللام(٣) .

ويوضح صاحب الفهرست شيئا من نسبه فيقول (أبو عبيد القاسم ابن سلام ، وقيل : ابن سلام بن زيد(٤) ..

ولم أر فيما أطلعت عليه فيما يتصل بنسبه أكثر من هذا ، غير أنهم ذكروا أن أباه كان عبدا روميا لرجل من أهل هراة ، وأنه كان يتولى الأزد . .

ومن هنا جاءت نسبة : التركى ، والأزدى ، وربما الهروى التى ترد فى ترجمته .

ولأبى عبيد نسب أخرى مثل . الخزاعى ، والخراسانى والبغدادى ، والكوفى . .

وعلتها واضحة كما نرى لكن الذى نعجب له أن بعضهم قد نسبه إلى (جمح) فوصفه بالجمحى ، وظن أنه كان أخا لمحمد بن سلام الجمحى صاحب طبقات فحول الشعراء المتوفى سنة ٢٣١ هـ

---

(١) معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٤
(٢) انظر . هامش صـ ٥ تذكرة الحفاظ / ٢
(٣) طبقات المفسرين / ١٩٩ (ب)
(٤) الفهرست / ١١٢

وهذا خطأ فاحش ، وقد تنبه إليه من قديم أبو الطيب اللغوى(١) وحذر منه ، لكن ذلك لم يمنع كثيرين من الوقوع فى هذا الخطأ ، وقد رأيته على صدر النسخة التى تحمل رقم ١٢١ لغة بدار الكتب المصرية من كتاب الغريب المصنف ، وفى الفهارس القديمة بالدار وفى كتاب كشف الظنون(٢) وفى مواضع أخرى .

وهكذا لا يوضح لنا التاريخ شيئا كثيراً عن أسرة هذا العالم ونسبه .

وكل ما يعرف عن والده أنه كان يعمل حمالا ، وأنه نال حريته ، وصار مولى للأزد ، وأنه كان رجلا محبا للعلم والعلماء ، وقد ظهر أثر ذلك فى توجيهه ولده القاسم إلى الدرس والتعلم ؛ وقد حفظ لنا المؤرخون كلمته الذكية التى وجهها إلى شيخ المكتب وقد ذهب بولده إليه ، وأوصاه به قائلا :

« علمى القاسم فإنها كيسة (٣) »

وفى هذه الكلمة على الرغم من اللكنة الواضحة فيها ما يدل على الفراسة والرؤية الواضحة للمستقبل ، فقد أثبتت الأيام صدق هذا الوالد ، وحسن تقويمه لقد رات ابنه ومواهبه .

لقد ولد أبو عبيد فى مدينة « هراه » ، تلك المدينة القديمة التى بناها الإسكندر المقدونى على نهر أريوس والتى فتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عمر رضى الله عنه ، والتى خربها التتار بعد ذلك سنة ٦١٨ هـ .

---

(١) مراتب النحويين ص ٢

(٢) كشف الظنون حـ ٢ ص ٢٠٠ وقد ذكر له نسبة أخرى هى : الحريرى وذلك ص ١٥٨ جـ ٢ ولم أر هذه النسبة عند غيره .

(٣) تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢

وهى مدينة لها فى التاريخ العلمى ذكر واضح وإليها نسب كثير ممن ساهموا فى بناء الصرح الخالد لعلوم الإسلام والعربية(١) .

وقد ذكر الحافظ بن الجوزى أن مولد أبى عبيد كان فى سنة خمسين ومائة ، وقال أبو بكر الزبيدى فى كتاب التقريظ أن مولده سنة أربع وخمسين ومائة(٢) » .

ولا نكاد نعرف شيئا ذا بال عن فترة النشأة الأولى لأبى عبيد ، وتلك عادة التاريخ ، لا يعنى بهؤلاء العظماء إلا بعد ظهورهم ونبـــوغهم فتظل طفولتهم ومراحل تكوينهم مغمورة غامضة إلى حد كبير

إن كل ما نعرفه عن هذه الفترة من حياة أبى عبيد أنه أرسل مع ابن سيده إلى المكتب على عادة القوم فى تربية أبنائهم فى هذا العصر وأن أباه — كما سبق — قد لمح فيه معالم الذكاء فأوصى به الشيخ وهو يأمل أن يكون ابنه فى يوم ما من حملة العلم وأرباب الفضل .

وفى هذا المكتب تلقى أبو عبيد ما يتلقاه أمثاله من حفظ القرآن الكريم ، ومبادىء العلوم الإسلامية والعربية .

وكان من الممكن أن يقنع مثل هذا الطالب الفقير بهذا القدر ، لكننا نراه لا يكتفى بما تلقاه فى الكتاب ، وإنما يخرج إلى لقاء العلماء والأخذ عن المحدثين والفقهاء ، وفصحاء الأعراب وغيرهم غير قانع بما فى بدينة هراه بل حاملا رحله إلى كل بلد ترتفع فيه منارات العلم ، ورايات العلماء .

---

(١) انظر عنها : مسالك الممالك ٣٩٣ وما بعدها .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٢٢٦

وهكذا عرفته «البصرة»، و «الكوفة»، وبغداد، والشام(١)، ومصر وغيرها وشهدت رحلاته، طالبا للعلم لا يمل ولا يكل، ولا يعترف بحدود يقف عنـــدها أو يظن أنها تمنع من مواصلة الطلب والاستمرار فى الدرس.

وليس أدل على هذا من ذهابه إلى البصرة وهو فى أخريات حياته ليسمع من شيخها (حماد بن زيد) فيجده قد فارق الحياة فيصيبه الحزن والغم لذلك، حتى ليشكو هذا إلى عبد الرحمن بن مهدى فيعزيه عبد الرحمن عن هـذا بقوله: (مهما سبقت به فلا تسبقن بتقوى الله عز وجل(٢)).

ومن أجل هذا كانت رحلته أيضاً إلى مصر سنة ٢١٣ هـ وقد صحب فيها يحيى بن معين، وفيها كتب وحكى عنه..: وفيها أرخه غير واحد كما يروى صاحب تهذيب التهذيب(٣).

وفى مثل هذا السن أيضاً شهدته مكة حاجا ومجاورا حتى كتب الله له أن يشرف جسده بالبقاء فى ترابها الطاهر إلى يوم القيامة، فقد دفن أبو عبيد بمكة سنة ٢٢٤ هـ فى أرجح الأقوال.

وقد تهيأ له بتلك البيئات التى عاش فيها أو رحل إليها أن يلتقى

---

(١) يقول الداوودى: وقال ابن عساكر: قدم دمشق طالب علم قال ابن يونس سكن بغداد، وقدم مصر مع يحيى بن معين سنة ثلاث عشر ومائتين وكتب بمصر انظر طبقات المفسرين الورقة ٢٠٠ (أ) «خ» دار الكتب المصريه.

(٢) تاريخ بغداد حـ ١٢ صـ ٤٠٨

(٣) انظر: تهذيب التهذيب حـ ٨ صـ ٣١٦

بأعظم علماء عصره فى كل فن وعلم ، وأن يأخذ عن كثيرين عرفهم العالم الإسلامى أئمة للفكر فيه وقادة للعلوم والفنون .

فقد قرأ القرآن الكريم على الكسائى ، وإسماعيل بن جعفر ، وشجاع ابن أبى نصر وغيرهم .

ويذكر ابن الجزرى هذا فيقول :

« أخذ القراءة عرضاً وسماعا عن (س مب ج ك) على بن حمزة الكسائى و(ك) شجاع بن أبى نصر ، وسليمان بن حماد ، و(ج) إسماعيل بن جعفر و (ك) حجاج بن محمد و(ج) هشام بن عمار ، وعبد الأعلى بن مسهر (ك) سليم بن عيسى و (ك) يحيى بن آدم(١) .

أما الحديث الشريف فقد سمعه ورواه عن كثير من أئمة العلم به والسند فيه .

يقول السبكى عنه :

« وسمع الحديث من إسماعيل بن عياش ، وإسماعيل بن جعفر ، وهشيم ابن بشير ، وشريك بن عبد الله . وهو أكبر شيوخه وعبد الله بن المبارك وأبى بكر بن عياش ، وجرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عيينة وخلائق آخرهم موتا هشام بن عمار(٢) .

وقد ذكر البغدادى أنه سمع أيضاً من إسماعيل بن علية ويزيد بن

---

(١) غاية النهاية حـ ٢ صـ ١٨ وهذه الرمرز تعنى كتب القراءات المشهورة عند ابن الجزرى وذلك على النحو التالى : س : كتاب المستنير ، مب : المبهج ، ج : جامع البيان للدانى ، ك : كتاب الكامل للهذلى . . أنظر الجزء الأول صـ ٣

(٢) طبقات الشافعية حـ ١ صـ ٥٧٠ الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية .

ويزيد بن هارون ، ويحيى بن سعيد القطان ، وحجاج بن محمد ، وأبى معاوية الضرير ، وصفوان بن عيسى ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وحماد بن مسعدة ومروان ابن معاوية ، وعمر بن يونس ، وإسحاق الأزرق وغيرهم(١) .

أما الفقه فقد ذكر صاحب طبقات الشافعية أنه تفقه على الشافعى وتناظر معه فى القرء هل هو حيض أو طهر إلى أن رجع كل منهما إلى ما قاله الآخر(٢) .

ويقول صاحب طبقات الحنابلة عن أبى عبيد :

« وكان يقصد إمامنا أحمد ويحكى عنه أشياء »(٣) .

ومما يلاحظ أيضاً أن بعضهم يذكر أنه أخذ عن أئمة الحنفية وأنه كان من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة على حين أننا لا نعدم أيضاً من يومىء إلى تفقه أبى عبيد بأقوال الإمام مالك بن أنس وآرائه .

وفى هذا كله ما يدل على أن أبا عبيد كان يلتقط الحكمة أينما وجدها، ويطلب الفقه فى الدين ، والعلم به فى كل مظانه ، وسترى أن هذا المنهج قد ارتقى به إلى درجة الإمامة والتفرد بالرأى .

ونأتى إلى اللغة فنرى أنفسنا أمام طالب واسع الأفق ، رحب الصدر، بعيد النظر ، مجردا عن الهوى ، ومن ثم فإنه يأخذ العلم باللغة وروايتها من كل مدرسة ، ومن كل فم تمكنت أذنه من سماع مايخرج منه ، دون نظر إلى

---

(١) تاريخ بغداد حـ ١٢ صـ ٤٠٣

(٢) طبقات الشافعية حـ ١ صـ ٢٧٠ وما بعدها

(٣) طبقات الحنابلة للقاضى أبى يعلى حـ ١ صـ ٢٥٩

كونه كوفيا أو بصريا أو بغداديا أو من غير هؤلاء فالحقيقة هى المطلوبة، والرواية الصحيحة هى المطلب ، والتلمذة الصادقة هى المنهج ، فما المانع إذن أن يأخذ هذا الطالب التقى ما يريده من اللغة وعلومها عن أشهر علماء عصره بها ، وأكثرهم معرفة ورواية لها .

لقد أخذ أبو عبيد عن الأصمعى ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة وغيرهم من أئمة البصرة ، كما أخذ عن الكسائى ، وأبى عمرو الشيبانى ، والفراء، وغيرهم من أئمة الكوفة .

وقد روى أيضاً عن كثير من الأعراب الفصحاء مثل العديس الكنانى ، وأبى الجراح العقيلى ، وأبى زياد الكلابى وغيرهم .

ومع أننا سنفصل الحديث عن ذلك فى المستقبل القريب إلا أننا نحب أن نؤكد مرة أخرى على أن أبا عبيد لا يكاد يترك عالما باللغة ، أو راويا لها إلا ويأخذ عنه دون ما توقف أو حرج ومن ثم فإنه يمكن القول بأنه كان فى ذلك تلميذ العصر كله وتلميذ جميع أئمته ورواته .

وإذا كانت القراءات ، والفقه ، والحديث ، واللغة تمثل أهم العلوم والثقافات التى شاعت فى هذا العصر ، فإن هناك علوما أخرى كثيرة كانت تدور فى فلك هذه العلوم وتخدمها تتصل بها من قريب أو بعيد .

وكان شأن عامة المتعلمين أن يأخذوا بأطراف من تلك العلوم تاركين التعمق فيها لأهل التفرد بها والتخصص فيها ؛

ولم يكن أبو عبيد من هؤلاء العامة فقد أبت نفسه إلا أن يطلب كثيرا من تلك العلوم طلب من يبغى التخصص ويريد التعمق .

ومن ثم لم يكن عجيبا بعد ذلك أن يطلب أبو عبيد علم التاريخ والأخبار، وأن يتطلع إلى معرفه علم الأنساب وغيره .

وكان له من شيوخه السابقين وغيرهم مثل ابن الكلبي خير معين على تحقيق هدفه وتحصيل ما يرجوه من تلك المعارف والثقافات ، ولا تكاد السنون تتقدم بهذا الفتى الرومى الخراسانى حتى نراه متربعا على عرش العلوم الإسلامية والعربية ، لا يكاد ينازعه فى منزلته منازع .

فهو فى علوم القرآن وقراءاته الإمام الكبير الحافظ العلامة أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف فى القراءات .

روى عنه القراءة (مب) أحمد بن إبراهيم وراق خلف و(س ك) أحمد ابن يوسف التغلبي و(ج ك) على بن عبد العزيز البغوى ، والحسن بن محمد ابن زياد القرشي ، ومحمد بن أحمد بن عمر البابى ، وأحمد بن الحسن بن عبدالله المقرى كذا ذكره أبو على الرهاوى ، ونصر بن داود و (ك) ثابت بن عمرو بن أبى ثابت .

وله إختيار فى القراءة وافق فيه العربية والأثر(١) .

وهو أول من وضع كتابا فى علم القراءات ، كما يذكر المؤرخون لهذا العلم(٢) .

وكذلك تحقق لأبى عبيد القدر الكبير فى الإحاطة بعلم معانى القرآن وتفسيره ، وعلم فضائله ، وناسخه ومنسوخه وغير ذلك كما سيظهر عند ذكر مؤلفاته .

وفى الحديث وعلومه كان أبو عبيد الثقة المأمون ، صاحب الأسانيد ،

---

(١) غاية النهاية حـ ٢ ص ١٨

(٢) أنظر : كشف الظنون حـ ٢ ص ٢٩٤

وشارح غريب الحديث ، والحافظ الذى ينفرد أحيانا برواية ما ليس عند غـــيره .

يقول عبد الغنى بن سعيد الحافظ : فى كتاب الطهارة لأبى عبيد القاسم ابن سلام حديثان ما حدث بهما غير أبى عبيد ولا عن أبى عبيد غير محمد بن يحيى المروزى أحدهما حديث شعبة عن عمرو بن أبى وهب والآخر حديث عبد الله بن عمر عن سعيد المقبرى حدث به يحيى القطان عن عبيد الله وحدث به الناس عن يحيى القطان عن ابن عجلان .

وقد ذكر البغدادى هذين الحديثين بسندهما وأحدهما: عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ إذا توضأ يخلل لحيته. والآخر : رأت عائشة عبد الرحمن توضأ فقالت : يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل للأعقاب من النار(١) .

ويروى أيضاً أن حمدان بن سهل يقول : سألت يحيى بن معين عن الكتابة عن أبى عبيد والسماع منه فتبسم وقال : مثلى يسأل عن أبى عبيد ، أبو عبيد يسأل عن الناس لقد كنت عند الأصمعى يوما إذ أقبل أبو عبيد فشق إليه بصره حتى اقترب منه فقال : أترون هذا المقبل ؛ قالوا : نعم قال: لن تضيع الدنيا أو لن تضيع الناس ما حيى هذا المقبل .

ثم يذكر أن أبا داود سليمان بن الأشعث سئل عن القاسم بن سلام فقال : ثقة مأمون(٢) .

وفى هذا المجال يروى عنه كثيرون بعضهم كان من شيوخه على حد

---

(١) تاريخ بغداد حـ ١٢ ص٤١٣ وما بعدها

(٢) المرجع السابق حـ ١٢ ص ٤١٤ وما بعدها

قول الحافظ ابن حجر العسقلانى : وروى عنه سعيد بن أبى مريم المصرى وهو من شيوخه(١) .

ويواصل ابن حجر الحديث عن منزلة أبى عبيد فى هذا فيقول: «ذكره البخارى فى جزء القراءة خلف الإمام ، وحكى عنه فى كتاب الأدب وفى كتاب أفعال العباد ، وذكره أبو داود فى تفسير أسنان الإبل من كتاب الزكاة ، ورثاه عبد الله بن طاهر لما بلغه موته قلت : قد وجدت له رواية فى الصحيح ، والموضع الذى حكاه عنه فى الأدب قوله عقب قول ابن الحنفية هل جزاء الإحسان إلا الإحسان قال هى مسجله للبر والفاجر قال أبو عبيد مسجله : مرسلة ، وذكره الترمذى فى الجامع فى غير موضع ، منها فى القراءات قال : وقرأ أبو عبيد والعين بالعين يعنى بضم النون ، ووقع فى الصحيح فى أحاديث الأنبياء عليهم السلام قال أبو عبيد : كلمته كن فكان(٢) .

فهذا رأيته من كلام أبى عبيدة معمر بن المثنى أيضا ، وفى الصحيح أيضا فى الزكاة : وقال أبو عبيد كل بستان عليه حائط فهو حديقة ، وفى كتاب الرقاق من الصحيح قال الفزارى قال أبو جعفر يعنى وراق البخارى سألت البخارى فقال سمعت أحمد بن عاصم يقول : سمعت أبا عبيد يقول قال الأصمعى وأبو عمرو وغيرهما : جذر قلوب الرجال : الجذر الأصل من كل شىء والوكت أثر الشىء اليسير منه والمجل أثر العمل فى الكف إذا غلظ(٣) .

وقال ابن حبان فى الثقات : كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث ، وفقه ، ودين ، وورع ، ومعرفة بالأدب وأيام الناس جمع ، وصنف ،

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٣١٥

(٢) انظر : شرح صحيح البخارى للشيخ رزوق ٦ / ٤٢٢

(٣) انظر فتح البارى ١ / ٣٣٣

واختار ، وذب عن الحديث ، ونصره وقمع من خالفه(١) .

وربما كفاه فى هذه الناحية ما ذكر من قراءة الأئمة عليه وسماعهم منه وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وغيره .

وفى الفقه تحقق لأبى عبيد مقام المجتهدين وقد سبق أن ذكرنا أنه أخذ من كل أصحاب المذاهب المشهورة تقريبا أو من تلامذتهم ومن ثم فقد نسبه كل أصحاب مذهب إلى منهجهم فهو شافعى عند الشافعية ، حنفى عند أصحاب أبى حنيفة(٢) ، حنبلى عند الحنابلة ما لكى فى عرف المالكية .

والحق أن الرجل كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد والاستقلال فى استنباط الأحكام ، واستخراج فروع الشريعة ، مما حصله من مصادرها التى كان له القدم الثابت فيها جميعا .

وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره السبكى من مناظرته للشافعى ورجوع كل منهما إلى قول صاحبه ، فهو يذكر أنهما تناظرا فى القرء فكان الشافعى يقول إنه الحيض ، وأبو عبيد يقول : انه الطهر فلم يزل كل منهما يقرر قوله حتى تفرقا ، وقد انتحل كل واحد منهما مذهب صاحبه وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد .

ويعلق صاحب الطبقات على هذه المناظرة فيقول :

« قلت وإن صحت هذه الحكاية ففيها دلالة على عظمة أبى عبيد فلم يبلغنا عن أحد أنه فاظر الشافعى ثم رجع الشافعى إليه ففيها دلالتان على

---

(١) تهذيب التهذيب ٣١٧ وما بعدها

(٢) انظر : فهارس البخارى ص (ا) . وانظر مقدمة تحقيق : فصل المقال ص ه

رفعة مقدارة بمناظرته مع الشافعى ثم رجوع الشافعى إلى مذهبه(١) .

وفى هذه المناظرة وغيرها ما يدل حقا على أن أبا عبيد كان مجتهدا وأستاذا كما وصفه كثير من العلماء والأئمة .

ونعمت الأستاذية عندما تمنح من أمثال أحمد بن حنبل الذى يقول عن أبى عبيد إنه أستاذ(٢) ، ويحيل السائلين إليه داعيا الله أن يجزيه الخير عن العلم وأهله .

وقد ألمح إلى هذه الإمامة والريادة فى الشريعة وعلومها كثيرون(٣) .

أجل لقد حصل أبو عبيد من ثقافات عصره وعلومه كل ما يليق بمن يهيىء نفسه لخدمة العربية والإسلام .

وقد كان علم اللغة كما سنرى على رأس تلك العلوم تى حصلها وتعمق فى دراستها حتى بلغ فيها مرتبة الامامة والريادة .

وقد جرت العادة عند التأريخ للعلماء أن يوصف الواحد منهم بالتقدم فى علم أو علمين أو ثلاثة لكن هذه القاعدة أو الفكرة لا تكاد تنطبق على

---

(١) طبقات الشافعية حـ ١ ص ٢٧٣

(٢) تذكرة الحفاظ ٢ / ٦ وسيأتى

(٣) يقول الشيخ الكوثرى عن البخارى : ولم يكن البخارى يكتفى بالرواية المجردة بل كان يجول فى ميدان الاجتهاد مزاحما أئمة الفقه المعروفين وفى أغلب ما ينفرد به من المسائل عن الأئمة الأربعة تجده موافقا لأراء الإمام المجتهد ابى عبيد القاسم بن سلام الهروى الأصل ثم البغدادى من أصحاب الإمام محمد بن الحسن الشيبانى » فهارس البخارى ص ١

أبي عبيد فما من علم يذكر إلا ولأبي عبيد فيه قدم عال أو إمامة وريادة ، أو سبق في التدوين والتأليف .

يشهد بذلك ويدل عليه أمور منها شهادات العلماء والمؤرخين .

وقد سبق ذكر بعضها ويهمنا أن نذكر هنا بعضا آخر منها .

يقول إبراهيم الحربي : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبدا يعجز النساء أن يلدن مثلهم : رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه روح(١) .

(وقال أحمد بن حنبل : أبو عبيد أستاذ وهو يزداد كل يوم خيرا) ويعلق الذهبي على هذا فيقول :

(قلت : من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانه من الحفظ والعلم ، وكان حافظا للحديث وعلله ، ومعرفة متوسطه ، عارفا بالفقه ، والاختلاف ، رأسا في اللغة إماما في القراءات له فيها مصنف(٢) .

ويقول عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي : أبو عبيد من علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين ، والعلماء بالقراءات ، وممن جمع صنوفا من العلم وصنف الكتب في كل فن من العلوم والآداب فاكثر وشهر(٣) .

ويقول الأزهري عنه : وكان دينا فاضلا ، عالما أديبا فقيها ، صاحب سنة ، معنيا بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل(٤) .

---

(١) تاريخ بغداد حـ ١٢ صـ ٤١٢

(٢) تذكرة الحفاظ حـ ٢ صـ ٦

(٣) طبقات المفسرين ٢٠٠ (ب)

(٤) تهذيب اللغه ١/٤٥

« وقال ابن ناصر الدين هو ثقة ، إمام، فقيه مجتهد ، أحد الأعلام وقد كان إماما فى القراءات ، حافظاً للحديث وعلله الدقيقات ، عارفاً بالفقه والتعريفات رأساً فى اللغة ، ذا مصنفات »(١) .

وعن محمد بن أبى بشر قال : أتيت أحمد بن حنبل فى مسألة فقال لى : ائت أبا عبيد فإن له بيانا لا تسمعه من غيره ، قال . فأتيته فشفانى جوابه »(٢) .

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش: أبو عبيد القاسم بن سلام من أبناء أهل خراسان وكان صاحب نحو وعربية ، طلب الحديث والفقه وولى قضاء طرسوس . . . وقدم بغداد فسمع الناس منه علماً كثيراً(٣) .

و « سئل أبو قدامة عن الشافعى، وأحمد بن حنبل ، وإسحق وأبى عبيد فقال : أما أفهمهم فالشافعى إلا أنه قليل الحديث ، وأما أورعهم فأحمد ابن حنبل ، وأما أحفظهم فإسحق ، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد » .

« وقال اسحق بن إبراهيم الحنظلى : أبو عبيد أوسعنا علماً ، وأكثرنا أدباً ، وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبى عبيد ، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا ، وقال إسحق : الحق يحبه الله عز وجل أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه منى وأعلم منى وإن الله لا يستحيى من الحق بو عبيد أعلم منى ومن ابن حنبل ، والشافعى ، وقال ثعلب : لوكان أبو عبيد فى بنى إسرائيل لكان عجباً »(٤) .

---

(١) شذرات الذهب حـ ٢ ص ٥٤
(٢) غاية النهاية ١٨/٢
(٣) إنباه الرواة حـ ٣ ص ٢٠
(٤) المرجع السابق حـ ٣ ص ١٨ وما بعدها .

وإذا كانت كل هذه الشهادات والأقوال تبين سعة ثقافة شيخنا وتوضح اتساع المدى الذى حققه فى مختلف العلوم والفنون فإننا لا نعدم بعض الأقوال القليلة التى تحاول الغض من قيمة هذه العقلية والحط من قدرها الذى أكبره العارفون وعظمه الدارسون .

ويقتضى الإنصاف أن تشير إليها حتى لا تخرج عن الموضوعية التى كان يؤمن بها أبو عبيد كل الإيمان .

فقد ذكر أن إبراهيم الحربى قال عنه إنه كان يحسن كل شىء إلا الحديث فإنه صناعة أحمد ويحيى(١) .

ولست أرى فى هذا النص إذا صح ما يغض من قيمة الذى يحسن كل شىء فما عليه إذن بأس أن يأتى فى الدرجة الثانية بعد هذين العلمين الكبيرين اللذين تخصصا فى علم الحديث وروايته ، على أنه قد شاركهما فى هذا وتفوق عليهما فى علم غريب الحديث فقد وردت روايات كثيرة بأنهما قد قرآ عليه هذا العلم الأخير وأخذاه عنه مثنين عليه ، داعين له(٢).

ومع هذا فقد ذكر كثيرون ما كان لأبى عبيد من منزلة كبرى فى علم الحديث وقد مر بعضها .

وقد روى البخارى بسنده عن الصاغانى قال : سمعت أبا عبيد يقول : ما كان على من حفظ خمسين حديثاً مئونة(٣) .

أما ماروه عن ابن السكيت من تنقيصه لأبى عبيد فقد وضح لنا

---

(١) تهذيب التهذيب ـ ٨ ص ٣١٦

(٢) أنظر : إنباه الرواة ٣/١٦

(٣) طبقات الزبيدى : ص ٢١٨

أبو عبيد نفسه السبب فى هذا حيث تقول الرواية أن أبا عمرو ابن الطوس قال : قال لى أبى: غدوت إلى أبى عبيد ذات يوم فاستقبلنى يعقوب بن السكيت فقال لى : إلى أين ؟ قلت إلى أبى عبيد فقال : أنت أعلم منه قال: فمضيت إلى أبى عبيد فحدثته بالقصة فقال لى : الرجل غضبان قال : قلت من أى شىء ؟ فقال : جاءنى منذ أيام فقال لى : اقرأ على غريب المصنف فقلت : لا ولكى تجىء مع العامة فغضب »(١) .

ويمكن أن يحمل على هذا اللون من الغضب والحسد ماذكر عن اسحق ابن إبراهيم الموصلى من أنه كان يشهر بأخطاء أبى عبيد فى الغريب المصنف كما سيأتى :

على أن أخطاء العلماء أمر مقرر عند أهل الوعى والفكر ، وما قال أحد بأن ذلك ينقص من قدرهم ، أو يحط من قيمتهم ، وقد كان رد أبى عبيد على من أخبره بنقد الموصلى جميلا ، خليقاً بأمثاله من أهل الدين والعلم(٢) .

أما كلام أبى الطيب اللغوى ومن اتبعه وماذهبوا إليه من أن أبا عبيد كان قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم أفتن فيها وأنه كان ناقص العلم بالإعراب ، وغير ذلك مما تلوح فيه رائحة الحسد البصرى والتعصب على هذا العالم الكوفى ، فإننا لم نر مع محاولة البحث والتقصى أحداً آخر قال به أو ذهب إليه ، بل كان ما رأيناه على عكس هـــذا كما مر ذكره ، وقد قال

---

(١) إنباه الرواه حـ٣ ص١٧ وأنظر تاريخ بغداد حـ١٢ ص٤٠٨

(٢) وقد ذكر هذه القصة غير واحد وانظر : طبقات الزبيدى ص٢٢١، وإنباه الرواة حـ٣ ص١٩ وما بعدها .

أبو الطيب نفسه عن أبي عبيد مانصه : « وكان مع هـذا ثقة ورعا لا بأس به »(١) .

ولنا — إن شاء الله — وقفة آتية للفصل فى تلك القضية .

* * *

وهكذا يتبين لنا من أقوال هؤلاء الأعلام أن أبا عبيد قد تفوق فى أكثر ألوان العلم والثقافة التى عرفها عصره على حد قول النووى عنه : وكان إماما بارعا فى علوم كثيرة منها : التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، والتاريخ(٢) .

مؤلفاته وآثاره

أما الأمر الثانى مما يكشف عن علمه وثقافته فإنه يظهر فيما قدمه هذا العالم المجتهد من مؤلفات وآثار علمية ذات تنوع عجيب .

ويهمنا قبل أن نذكر تلك المؤلفات والآثار أن نشير إلى ماشهد به العلماء لأبى عبيد من حسن التأليف وروعة التصنيف وكثرته .

فقد ذكر أبو الطيب أنه مصنف حسن التأليف(٣) ، ويقول المرزبانى : « وممن جمع صنوفا من العلم وصنف الكتب فى كل فن من العلوم والأدب فأكثر وشهر أبو عبيد القاسم بن سلام » ... وروى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً فى القرآن ، والفقه ، وغريب المصنف ، والأمثال ،

---

(١) مراتب النحويين ص ٩٣

(٢) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول حـ ٢ ص ٢٠٧

(٣) مراتب النحويين ص ٩٣

ومعانى الشعر ، وله كتب كثيرة لم ترو فى أصناف الفقه كله ، وكان إذا ألف كتابا أهداه إلى عبد الله بن طاهر ، فيحمل إليه مالا جزيلا استحسانا لذلك ، وكتبه مستحسنة مطلوبة فى كل بلد ، والرواة عنه مشهورون ثقات ذوو ذكر ونبل(١) .

ويقول الجاحظ فى كتاب المعلمين عن أبى عبيد : كان مؤدباً لم يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة(٢) .

وحسبك شهادة الجاحظ لهذا العالم الفـــذ ، لنقف بعض الوقت مع ما وصل إلينا عبر التاريخ من هذه المصنفات الحسنة أو من أسمائها حتى يأذن الله لتراث هذا الإمام المجتهد برؤية النور لينتفع الناس فى عصرنا به كما أنتفع به السابقون الذين عرفوا قيمته وقدره .

أولا : علوم القرآن :

ذكر المؤرخون لأبى عبيد فى القرآن مصنفات أهمها :

١ — كتاب القراءات :

ذكره ابن النديم فى الفهرست(١) ضمن مؤلفـــات أبى عبيد ويعده ابن الجزرى أول كتاب فى هذا الفن إذ يقول : « فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق ، وقل الضبط ، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان فى ذلك العصر ، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات ، فكان

---

(١) إنباه الرواة حـ ٣ ص ١٣

(٢) معجم الأدباء حـ ١٦ ص ٢٥٥

(٣) الفهرست ص ١١٢

أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فـــيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين »(١).

وقد ذكر هذا أيضاً صاحب كشف الظنون(٢) وأشار القسطلانى إلى أن العلماء تبعوا أبا عبيد فى هذا إذ يقول :

« ثم تلاه الجماعة سالكين سننه ، متقلدين منته ، فكثرت التآليف وانتشرت التصانيف ، واختلفت أغراضهم بحسب الإيجاز والتطويل ، والتكثير والتقليل ، وكل له مقصد سنى ، ومذهب مرضى ، فكان أول من تابعه أحمد بن جبير الكوفى نزيل أنطاكية »(٣) .

وقد ذكر ابن خير هذا الكتاب فى فهرسته ، وذكر أنه حدثه به شيخه أبو الحسن سريح بن محمد المقرى ، قراءة عليه وهو يسمع وذكر سنده حتى أبى عبيد(٤) .

هذا ولم يشر « بروكلمان » إلى هذا الكتاب(٥) وكذلك لم يذكر فؤاد سزكين شيئاً عن وجوده ، وذلك على الرغم من إشارته إلى دور أبى عبيد فى ضبط القراءات حيث يقول : « ويبدوا أن أول محاولة لتكوين نص مضبوط معتمد ترجع إلى النحاة فى ذلك العصر فسيبوية أعتمد على قراءة بصرية عادية ، مع أنه كان يعرف كل القراءات المحلية للأماكن الأخرى

---

(١) النشر حـ ١ ص ٣٣ وما بعدها .
(٢) كشف الظنون حـ ٢ ص ٢٩٤
(٣) لطائف الإشارات حـ ١ ص ٨٥
(٤) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٢٢
(٥) أنظر : تاريخ الأدب العربى حـ ٢ ص ١٥٥ وما بعدها

ماعدا دمشق ، أما أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م الذى وقف بين المدرستين النحويتين : البصرية والكوفية موقف التوفيق ومعاصره أبو حاتم السجستانى فقد وضعا فى انتقائهما من القراءات مبدأ الاختيار ولم يقم هذا المبدأ على أساس عدد القراء وإنما فوق هذا على قيمة القراءات المحلية المختلفة وعلى منزلة القراء أنفسهم »(١) .

ولا نفهم من كلام ابن الجزرى أنه رأى ذلك الكتاب إذ أنه يقول وجعلهم — فيما أحسب — خمسة وعشرين فالظاهر أن الكتاب قد فقد بعد القرن السادس الذى رواه فيه ابن خير أو لعله كان موجوداً بعد ذلك التاريخ ولكن ابن الجزرى المتوفى فى القرن التاسع لم يره ولعل الله يوفق بعض الباحثين فى العثور عليه أو محاولة جمع نصوصة أو بعضها من الكتب والمؤلفات التى ظهرت فيما بعد(٢) .

وقد نقل السيوطى عن هذا الكتاب فى النوع العشرين من كتابه : الإتقان ١/٢٤٨

---

(١) أنظر : تاريخ التراث م (١) ص ١٥٢

(٢) يقول القفطى عن هذا الكتاب ، وله فى القراءات كتاب جيد ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله .

أنظر إنباه الرواة حـ ٣ ص ١٥

٢ — كتاب معانى القرآن :

ذكره ابن النديم ضمن مؤلفات أبى عبيد(١) ويقول الأزهرى فى مقدمة تهذيبه : ولأبى عبيد كتاب فى معانى القرآن أنتهى تأليفه إلى سورة طه ، ولم يتمه وكان المنذرى سمعه من على بن عبد العزيز وقرىء عليه أكثره وأنا حاضر .. » ، وقد عده الأزهرى من مصادره(٢) .

وقد أشار إليه القفطى(٣) ، وابن شاكر(٤) ، وذكره حاجى خليفة بين الكتب المؤلفة فى معانى القرآن(٥) .

ويشير الدكتور حسين نصار إلى موضوع هـــذا الكتاب ونظائره وعلاقتها بالدراسات اللغوية فيقول :

« وقامت حول القرآن دراسات أخرى باسم معانى القرآن ، وتفسير القرآن ، ومشكل القرآن ، ولـكن « المعانى » هى النواة الأولى للتفسير ، فهى أقرب إلى كتب الشروح منها إلى الكتب اللغوية الخالصة .

ويبين الفرق بينهما وبين كتب التفسير فيقـــول : الفرق بينهما أن كتب المعانى كانت تختار من الآيات ، أما كتب التفسير فكانت

---

(١) الفهرست ص ١١٢

(٢) تهذيب اللغة حـ ١ ص ٢٠

(٣) إنباه الرواه حـ ٣ ص ١٤

(٤) عيون التواريخ ٢٨٨

(٥) كشف الظنون حـ ٢ ص ٤٦١

تحاول ألا تترك شيئاً بغير شرح وأن كتب المعانى هى الصورة الأولى لكتب التفسير »(١) .

ويقول ابن الصلاح: وحيث رأيت فى كتب التفسير : قال أهل المعانى فالمراد به مصنفوا الكتب فى معانى القرآن كالزجاج ، والفراء، والأخفش وابن الأنبارى(٢) .

ولم يذكر « بروكلمان » شيئا عن هذا الكتاب ، مما يشير إلى أنه مازال مفقوداً .

وقد أشار «سزكين» إلى فقد أكثر تلك الكتب المتصلة بمعانى القرآن ، وأشار أيضاً إلى أنه لم يصل إلينا من كتب تلك الفترة إلا كتابان هما مجاز القرآن لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٠ / ٨٢٥ م ومعانى القرآن للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م

ومعنى هذا أن كتاب أبى عبيد يعد من تلك الكتب المفقودة ، والظاهر أن سبب فقد هذا الكتاب يرجع إلى عدم تمام سماعه منه يقول القفطى مشيراً إلى طبيعة هذا الكتاب ومصادره :

« وكذلك كتابه فى معانى القرآن ، وذلك أن أول من صنف فى ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ، ثم الأخفش وصنف من الكوفيين الكسائى ثم الفراء ، فجمع أبو عبيد من كتبهم وجاء فيها بالآثار وأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين

---

(١) المعجم العربى : حـ ١ ص ٤٩

(٢) الاتقان حـ ٢ ص ٣

والفقهاء ، وروى النصف منه ، ومات قبل أن يسمع منه باقية وأكثره غير مروى عنه(١) .

وقد ذكروا فى سبب عدم تمام هذا الكتاب أن الإمام أحمد بن حنبل كتب إلى أبى عبيد يقول : « بلغنى أنك تؤلف كتاباً فى القراءات [كذا] أقمت فيه الفراء وأباعبيدة أئمة يحتج بهم فى معانى القرآن فلا تفعل» كما ذكروا أن إسماعيل بن إسحق أخذ الكتاب ، وزاد فيه زيادة وانتهى إلى حيث أنتهى أبو عبيد وتوفى فجأة سنة ٢٨٢(٢) .

٣ — كتاب غريب القرآن :

وقد ذكره ابن النديم فى مؤلفات أبى عبيد(٣) ونقله عنه القفطى(٤) وأشار إليه ابن شاكر(٥) وكذلك فعل حاجى خليفة فى كشف الظنون فقد ذكر أن جماعة قد أفردوا غريب القرآن بالتأليف منهم أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢٢١ هـ والقتبى ، والنضر ابن شميل المتوفى سنة ٢٠٣ هـ وأبو فيد مؤرج بن عمرو النحوى السدوسى المتوفى سنة ١٧٤ هـ وأبان بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكرى المتوفى

---

(١) إنباه الرواة ٣/١٤ وما بعدها .

(٢) أنظر أبو على الفارسى : حياته ومكانته .. للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٢٧١ وقارن بما كتبه د . عبد الجليل شلبى فى مقدمته لتحقيق معانى القرآن للزجاج ص ى

(٣) الفهرست ١١٢

(٤) إنباه الرواة ٣/٢٢

(٥) عيون التواريخ ٢٨٨

سنة ١٤١ هـ وأبو بكر أحمد بن كامل المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام الحريرى(١) الكوفى المتوفى سنة ٢٢٤ هـ .

ويذكر الدكتور حسين نصار أن ياقوتا روى فى معجم الأدباء أن كتاب أبى عبيد فى غريب القرآن منتزع من كتاب أبى عبيدة(٢) . وقد ذكر هذا أيضاً د محمد حسين آل ياسين(٣) .

والواضح أن ياقوتا قد نقل هذا الكلام عن أبى الطيب اللغوى الذى كان — فيما يبدو — لا يرى لأبى عبيد فضلا فى مؤلفاته وكان يحاول دائماً إرجاع الفضل فيها إلى غيره لأمر مار بما عرضنا له فيما بعد(٤) .

هذا ولم يذكر بروكلمان ولا فؤاد سزكين شيئاً عن هذا الكتاب مما يدل على أنه مازال فى عداد الكتب المفقودة وإن كان بروكلمان قد أشار إلى احتمال كون القائمة المشتملة على ماورد فى القرآن من لغات القبائل مأخوذة من هذا الكتاب(٥) .

---

(١) عيون التواريخ ٢٨٨

(٢) كشف الظنون ١٥٨/٢

(٣) المعجم العربى : ٤١/١

(٤) الدراسات اللغوية عند العرب : ١٥٠

(٥) أنظر : مراتب النحويين : ٩٣

(٦) انظر : تاريخ الأدب العربى ١٥٩/٢

وقد طبعت تلك القائمة المشار إليها على هامش كتاب التيسير فى علم التفسير لعبد العزيز الديرينى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

ولعلنا فى غير حاجة إلى أن ننبه إلى ماهذا النوع من التأليف من أثر فى خدمة اللغة والحفاظ على معجمها وإمداده بما يكفل له البقاء والخلود فقد كفانا ذلك المؤلفون فى تاريخ المعجم العربى ونشأته وتطوره . مثل الدكتور حسين نصار والدكتور عدنان الخطيب وغيرهما(١)

٤ — كتاب فضائل القرآن وآدابه (٥) :

ذكره ابن النديم، وابن خير، وابن شاكر، وحاجى خليفة والزركلى، وبروكلمان . وغيرهم .

وقد ذكر جورجى زيدان أن منه نسخة فى مكتبة «برلين»(٢) ويقول عنه بروكلمان : « ولأبى عبيد كتاب بعنوان فضائل القرآن وآدابه يتحدث فيه عن فضائل القرآن كافة وفضائل بعض السور والآيات وعن المفردات والتفسير .. إلخ .

---

(١) انظر : المعجم العربى ١/ ٣٩ وما بعدها وانظر المعجم العربى بين الماضى والحاضر ٣٧ وما بعدها .

(٥) فى فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية :

فضائل القرآن ومعالمه وأدبه تأليف أبى عبيد القاسم بن سلام البغدادى الهروى المتوفى سنة ٢٨٤ [كذا] أوله باب فضل القرآن وتعلمه وتعليمه للناس .

نسخة فى مجلد مصورة بالفرتوستات عن مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين فى ٥٨ لوحه كل لوحة ذات شطرين ومسطرتها مختلفة [٢٠١٠١ب].

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١١٨

وأخرج هذا الكتاب تلميذ لم يذكر إسمه للقارىء محمد بن الحجاج فى حدود سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ومنه مخطوط فى برلين ٤٥١ وآخر فى توبنجن ٩٥ ونشره إيزن وبروتسل فى مجلة إسلاميكا .

وربما كانت مأخوذة عن هذا الكتاب قائمة القراء التى ذكرها أبو شامة فى شرح الشاطبية وهى تشتمل على سلسلة من قراء الصحابة وأربعين من قراء التابعين وخمسة عشر من قراء متأخرين وانظر النوع العشرين من كتاب الإتقان للسيوطى ، وذكر ابن الجزرى هذه القائمة أيضاً فى كتاب النشر ١ : ٨٥ وما بعدها دون تسمية المصدر(١) .

وقد رجعت إلى تلك القائمة ـ كما يسميها بروكلمان ـ فى الإتقان(٢) والظاهر أن السيوطى قد أفاد فيها من كتاب القراءات إذ أنه قد ذكره ونقل عنه قبل ذلك بقليل(٣) وهو لم يذكر هنا أى شىء عن فضائل القرآن وإنما كان الحديث عن معرفة حفاظه ورواياته فالمناسب أن يكون النقل عن الكتب المتصلة بذلك وهى — بالطبع — كتب القراءات والقراء .

ولقد ذكر « سزكين » أن كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد من الكتب التى وصلت إلينا من تلك الحقبة التى كان يتحدث عنها وقد أحالنا فى ذلك إلى بروكلمان(٤) كما أنه أشار إلى أن فى هذا الكتاب بقية من غريب القرآن المنسوب لابن عباس رضى الله عنهما(٥) .

---

(١) تاريخ الأدب العربى حـ ٢ ص ١٥٨
(٢) الإتقان : ١/٢٤٤ وما بعدها .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٤٨
(٤) أنظر تاريخ التراث العربى م (١)/٢٢٢
(٥) المرجع نفسه ص ١٨٣

٥ — كتاب عدد أى القرآن :

وقد نسبه إليه فى الفهرست(١)،وأكد القفطى هذه النسبة(٢) ، و كذلك فعل ابن شاكر(٣) ، واليافعى(٤) .

ولم يذكر أحد من المحدثين شيئاً عن وجود هذا الكتاب فيما أطلعت عليـــه .

وقد أشار السيوطى إلى أن عد أى القرآن قد أفرده جماعة من القراء بالتصنيف وقد أشار إلى فائدة ذلك وسببه لكنه لم يذكر أحداً من هؤلاء المصنفين سرداً وإن كان قد نقل فيما يبدو عن بعضهم(٥) .

كذلك لم يشر صاحب أبجد العلوم إلى أحد من المصنفين فى هذا العـــلم(٦) .

فالظاهر أن هذا الكتاب قد ذهب إلى الضياع منذ وقت مبكر .

---

(١) الفرست : ١١٢
(٢) إنباه الرواة ٣ /٢٢
(٣) عيون التواريخ ٢٨٨
(٤) مرآة الجنان ٢ /٨٤
(٥) الإتقان ١/ ٢٣٠ وما بعدها .
(٦) أنظر حـ٦/ ٥٠٠

٥ — كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه :

يقول ابن خير فى فهرسته : كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه تأليف أبى عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنى به شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن شريح المقرى رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع .

ويستمر بعد ذلك فى ذكر الطرق والأسانيد التى تصل حبل روايته لهذا الكتاب بأبى عبيد رحمه الله(١) ،ويذكر حاجى خليفة أنه قد ألف فى ناسخ القرآن ومنسوخه جماعة ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام(٢) .

وقد نسب كثيرون إلى أبى عبيد كتاباً باسم : الناسخ والمنسوخ جاء ذلك فى الفهرست لابن النديم(٣) ، وفى معجم الأدباء لياقوت(٤) ،وعيون التواريخ لابن شاكر(٥) .

ولم يذكر أحد من كل هؤلاء شيئاً عن مادة ما ذكره والظاهر أن الجميع يشيرون إلى كتاب واحد وأن الاختلاف جاء فى اسمه فقط والاختلاف فى أسماء الكتب أمر شائع بين الوراقين ، والنساخ والمؤلفين والمؤرخين .

هذا وما يزال هذا الكتاب — حسب علمى — معدوداً بين الكتب المفقودة .

---

(١) انظر فهرسة ما رواه عن شيوخه ٤٧

(٢) كشف الظنون ٢/٥٨٠

(٣) الفهرست ١١٣

(٤) معجم الأدباء ١٦/٢٦٠

(٥) عيون التواريخ ٢٨٨

٧ — كتاب شواهد القرآن :

وقد ذكره ابن خير فى فهرسته فقال : كتاب شواهد القرآن لأبى عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنى به الشيخ الفقيه أبو الحسن يونس بن محمد ابن مغيث رحمه الله عن أبى عمر . . . على على بن عبد العزيز عن أبى عبيد رحمه الله(١) .

ولم أر له ذكراً عند غيره مما اطلعت عليه ، ولم نعرف شيئا عن موضوعه ولا عن طبيعة الشواهد التى يعنيها .

٨ — المجاز فى القرآن :

وقد ذكره ابن شاكر باسم : كتاب المجاز(٢) أما الداوودى فقد أطلق عليه تسمية المجاز فى القرآن(٣) ، وقد ذكره ابن النديم باسم كتاب المجاز لأبى عبيد وذلك فى غير ترجمته(٤) .

ولم أر — فيما أطلعت عليه — أن أحداً غير هؤلاء نسب إلى أبى عبيد كتابا بهذا الإسم .

وإذا صحت نسبة هذا الكتاب المفقود إلى شيخنا فإن الذى نتصوره أن يكون موضوعه قريبا مما جاء فى كتاب القرآن لشيخه أبى عبيدة معمر ابن المثنى .

---

(١) فهرست ماروواه عن شيوخه ٧١

(٢) عيون التواريخ ٢٨٨

(٣) طبقات المفسرين الورقة ٢٠٠ (أ)

(٤) الفهرست : الكتب المؤلفة فى معانى شتى من القرآن ص٧٣

تلك أهم الكتب التى نسبت إلى أبى عبيد فى علوم القرآن ، والمتأمل فى أسمائها وفى نظائرها من الكتب التى عبرت الزمن إلينا يرى أن القاسم المشترك بينهما جميعاً هو العناية بالقرآن الكريم وبلغته العربية الخالدة ومن ثم فإنها جميعاً أو أكثرها تعد من أهم مصادر الدراسات اللغوية وبخاصة ما يتصل منها بغريب القرآن ومعانيه وفضائله ومجازه وقراءاته .

وذلك هو الطابع العام فى كل ما خطه يراع هذا العـــالم الفذ كما سيأتى :

* * *

ثانياً — كتب الفقه والعقيدة والأخلاق :

لقد نسب إلى ابى عبيد مجموعة كبيرة من الكتب والدراسات الفقهية عنى المؤرخون بذكر بعضها وأعرضوا عن ذكر بعضها الآخر .

وقد أشار إلى هذا ابن النديم بقوله بعد ذكر قائمة كتب أبى عبيد: وله غير ذلك من الكتب الفقهية(١) ويقول البغدادى أيضاً : وله كتب لم يروها وقد رأيتها فى ميراث بعض الظاهريين تباع كثيرة فى أصناف الفقه كله .

ويهمنا هنا أن نذكر أهم تلك الكتب التى لم يغفلها المؤرخون لهـذا الفقيه المجتهد .

---

(١) الفهرست ١١٣

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٤

كتاب الأموال :

وهو مطبوع مشهور ومعروف لكل الباحثين فى الجانب الاقتصادى من الفقه الإسلامى .

ويقول بروكلمان عنه إنه يتناول أحكام الزكاة والخراج على أساس أدلة الحديث التى ينبغى بحث علاقتها بكتب الخراج الصادرة عن الإدارة العلمية ومن مذاهب أخرى للمدارس الفقهية ، نشره محمد حامد الفقى بالقاهرة سنة ١٤٥٣ هـ اعتماداً على أصل مخطوط فى مكتبة دمشق العمومية ٢٣ ٤٠٥ ٢٤ ٣١٠ وعلى أصل آخر فى القاهرة(١) .

والنسخة التى بين يدى ليست بتحقيق محمد حامد الفقى وإنما هى بتحقيق وتعليق محمد خليل هراس وهى موسومة بالطبعة الثانية .

وقد أشير فى مقدمتها إلى الطبعة الأولى بصورة توحى أن تلك الطبعة أيضاً كانت بتحقيق وتعليق الهراس نفسه .

ومهما يكن فإن هذا الكتاب يعد من أعظم ما كتب فى الفقه الإسلامى وقد ذكره السابقون وأشاروا إليه وإلى قدره العظيم .

فقد ذكره ابن النديم فى مؤلفات أبى عبيد وكذلك القفطى حيث يقول : وكتابه فى الأموال من أحسن ما صنف فى الفقه وأجوده(٢) .

لكن البغدادى يرى غير هذا حيث يقول : وأضعف كتبه كتاب الأموال يجىء إلى باب فيه ثلاثون حديثاً وخمسون أصلا عن النبى — صلى

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٩

(٢) انباه الرواة ٣/١٥

الله عليه وسلم — فيجيء يحدث بحديثين يجمعهما من حديث الشام ويتكلم فى ألفاظهما(١) .

ومن الواضح أن هذا النقد يأتى من جانب قلة الحديث فى الأبواب وربما كان عند أبى عبيدة فى هذا أن الكتاب يقصد به الفقه أكثر مما يقصد به الحفظ والرواية فهو ليس سنداً أو مرجعاً من مراجع الحديث .

أما الكلام فى ألفاظ الحديث فتلك صناعة أبى عبيد وبضاعته وقد امتدت آثارها إلى كل كتبه فى الفقه والحديث وبذلك كان كتاب الأموال ككل كتب أبى عبيد زاخراً بالتفسيرات اللغوية معتمداً على ما لصاحبه من ثقافة لغوية واسعة فى توضيح تلك النصوص البالغة فى عروبتها وفصاحتها .

وقد ذكر ابن خير هذا الكتاب وروايته له تحت عنوان كتب الفقه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله(٢) ، وكأنه كان يعتقد بأن أبا عبيد من تلاميذ المدرسة المالكيه وفى هذا إشارة إلى ماسبق أن ذكرناه من تنازع المذاهب الفقهية حول أبى عبيد .

وقد عرف خبراء الاقتصاد فى عصرنا لهذا الكتاب أهميته وقدره وانتفع به الباحثون فى الاقتصاد الإسلامى أيما انتفاع .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/٤١٣

(٢) انظر فهرست مارواه عن شيوخه ص ٢٤٠ و ص ٢٤٨

٢ — كتاب الحجر والتفليس :

وقد ذكره صاحب الفهرست فى مصنفات أبى عبيد(١) وتبعه فى هذا القفطى فى إنباه الرواة(٢) ، وكذلك فعل ياقوت فى معجم الأدباء(٣) ويتضح موضوعه من أسمه ، ولم نطلع على نص يثبت وجوده فهو من الكتب الكثيرة المفقودة .

٣ — كتاب الحيض :

وهو من الكتب الفقهيه التى ذكرها ابن النديم فى مصنفات أبى عبيد وكذلك ذكرها القفطى ، وذكر حاجى خليفة(٤) أبا عبيد بين من ألفوا كتبا بهذا الاسم .

٤ — كتاب الطهارة :

وموضوعه يتضح من تسميته وقد ذكره ابن النديم(٥) والقفطى(٦) وغيرهما .

وفى تاريخ بغداد يقول عبد الغنى بن سعيد الحافظ أن فى كتاب الطهاره لأبى عبيد القاسم بن سلام حديثين ما حدث بهما غير أبى عبيد ولا عن

---

(١) الفهرست ص ١١٣
(٢) انباه الرواه ٣/٢٢
(٣) معجم الأباء ١٦/٢٦٠
(٤) كشف الظنون ٢/٢٧٤
(٥) الفهرست ١١٣
(٦) انباه الرواة ٣/٢٢

أبي عبيد غير محمد بن المروزي أحدهما حديث شعبه عن عمرو ابن وهب والآخر حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري حدث به يحي القطان عن عبيد الله وحدث به الناس عن يحي القطان عن ابن حجلان(١) وقد ذكر البغدادي هذين الحديثين كما مر .

ولم نر فيما تحت أيدينا شيئاً يوضح لنا مصير هذا الكتاب ويبين لنا موقفه ومستقره .

٥ — كتاب أدب القاضي :

وهو من مؤلفات أبي عبيد التي أحصاها ابن النديم(٢) ولم يذكر لنا شيئا عن طبيعتها أو مصيرها وكذلك فعل سائر المؤرخين لأبي عبيد كالقفطي وغيره(٣) .

وكم كنا نود معرفة شيء عن هذا الكتاب الذي عمل مؤلفه بالقضاء ثماني عشرة سنة كما يذكر المؤرخون(٤) ولكنه يعد حتى الآن وحسب علمي في كتب أبي عبيد المفقودة ، وقد ذكر حاجي خليفه أنه على مذهب الإمام الشافعي (٥) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/٤١٣
(٢) الفهرست /١١٣
(٣) انباه الرواة ٣/٢٢
(٤) وفيات الأعيان ٣/٢٢٥
(٥) فقد ذكره باسم : أدب القاضي على مذهب الشافعي ١/٧٣

٦ — كتاب الأيمان والنذور :

ذكره ابن النديم ، والقفطى وغيرهما وموضوعه يتضح من اسمه ولكننا لا نعرف شيئا عن مصيره

* * *

وإذا كانت الكتب السابقة تمثل — كما هو واضح الجانب الفقهى من ثقافة أبى عبيد فإن من كتبه ما هو متصل أيضاً بالجانب العقدى والأخلاقى ومن أهمها :

١ — كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته :

ذكره بروكلمان وأشار إلى وجوده بالمكتبة الظاهرية بدمشق ٣٧ ، ١١٦ ، ٤[1] .

ومع أنه لم يهيأ لنا الاطلاع عليه فإنه يبدو لنا أنه يتصل بأصول الدين والجانب العقدى فيه .

وربما سوغ لنا هذا أن نشير هنا الى صفاء عقيدة أبى عبيد وفقائها من كل ما كان يشوب مجتمعه من أفكار وآراء لا يرضى عنها الإسلام وربما توضح لنا هذه الروايه شيئاً من ذلك ، وهى مما ذكره الزبيدى فى طبقاته :

« قال مروان سمعت الدورى يقول : سمعت أبا عبيد وذاكروه عن رجل من أهل السنة يقول : هذه الأحاديث التى تروى فى الرؤية ،

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٨

والكرسى ، موضع القدمين ، وضحك ربنا من قنوط عباده ، وإن جهنم لتمتلىء . . . وأشباه هذه الأحاديث (حق) فقالوا إن فلانا يقول يقع فى قلوبنا أن هذه الأحاديث حق قال أبو عبيد : ضعفتم عندى أمره هـذه حق لاشك فيها رواها الثقاة بعضهم عن بعض إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم يدرك أحد تفسيرها(١) .

وتدل هذه الرواية على مذهب أبى عبيد ورأيه الذى تبدو فيه روح السلف واضحة ظاهرة ، فهو إذن سلفى العقيدة ، ويؤكد الزبيدى هـذه الرواية برواية أخرى فيقول :

« قال أبو سعيد الأعرابى : سمعت عباسا الدورى يقول : سمعت أبا عبيد يقول : عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام فما رأيت قوماً أضعف ولا أوسخ ، ولا أقذر ، ولا أضعف حجة ، ولا أحمق من الرافضة ولقد وليت قضاء الثغر فأخرجت منهم ثلاثة جهميين ورافضا أو رافضين وجهميا وقلت : مثلكم لا يجاور الثغور(٢) » .

ولعل هذين النصين مما ورد فى كتاب الإيمان المذكور وستظل هذه القضية فى دائرة الافتراض حتى يوفق الله من يخرج هذا الكتاب إلى عالم النشر والانتشار .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص٢١٨

(٢) المرجع السابق ٢١٨

٢ — كتاب آداب الإسلام :

وقد ذكر بروكلمان أن العلوى قد نقل فى كتابه ألف ياء ٢/٢٧ نصوصا من كتاب لأبى عبيد فى آداب الإسلام ولم يذكر هو ولا غيره — فيما اطلعت عليه — شيئاً آخر عن هذا الكتاب ، والنص الذى أشار إليه بروكلمان هو « تقدم قوس قزح كره بعض العلماء أن يقال كذلك خرج القاسم بن سلام فى كتاب آداب الإسلام له قال : لا تقولوا قوس قزح فإن قزح شيطان ولكن قولو القوس (١) .

٣ — كتاب مواعظ الأنبياء :

يقول ابن خير : كتاب مواعظ الأنبياء لأبى عبيد حدثنى به أبو محمد (بن عتاب) عن أبيه رحمهما الله . . . نا على بن عبد العزيز عن أبى عبيد مؤلفه(٢) .

ولم أر — فيما اطلعت عليه — أحد يذكر أن لأبى عبيد كتابا بهذا الاسم إلا أن بروكلمان قد ذكر فيما نسب لأبى عبيد كتابا باسم : كتاب الخطيب والموعظ (لينرج أول١٥٨(٣)) فهل هما كتاب واحد ؟الله أعلم .

تلك أهم الكتب التى ذكرها المؤرخون لأبى عبيد فى الجانب الفقهى والعقدى والخلقى ، وهى كلها لا تخرج عما سبق ذكره من كونها ذات طابع لغوى يعطيها حسنا ويزيد من قبحها وفائدتها يقول القفطى :

---

(١) كتاب ألف با ١/٢٨

(٢) فهرست ما رواه عن شيوخه ٢٩١

(٣) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٩

« وأما كتبه فى الفقه فإنه عمد إلى مذهب مالك والشافعى فتقلد أكثر ذلك وأتى بشواهد ، وجمعه من حديثه ورواياته ، واحتج فيها باللغة والنحو فحسنها بذلك »(١) .

وأبو عبيد فى هذا كله هو الفقيه اللغوى أو اللغوى الفقيه ومن هنا كان تميزه على أقرانه كما سبق ذكره .

ثالثاً : كتب التاريخ والأنساب :

كان أبو عبيد كما سبقت الإشارة إليه لغوياً صاحب تاريخ وأنساب وأخبار .

وهناك نقول كثيرة يحتج أصحابها بأبى عبيد فى تلك الجوانب التاريخية والأخبارية والنسبية .

بل إنه ليمكننا الاستطراد هنا إلى القول بأن أبا عبيد كان أيضا من أصحاب المعارف الجغرافية ، كما يذكر كراتشكوفسكى .

وقد ذكر المؤرخون لأبى عبيد فى هذا عدة كتب لكنها جميعا لم تر النور بعد ولا يدرى أحد شيئا عنها إلا نتفا قليلة تذكر فى بعض الكتب أو الموسوعات الأدبية والعلمية .

ومن أهم هذه الكتب :

١ — كتاب الأحداث :

ويدل إسمه على أنه فى التاريخ وقد ذكره صاحب الفهرست(٢) والقفطى(٣) .

---

(١) إنباه الرواة ٣/١٥ .
(٢) الفهرست ١١٢ .
(٣) إنباه الرواه ٣/٢٢ .

٢ — كتاب النسب :

ويتضح من إسمه أنه فى علم الأنساب وهو علم كان سائغا عند العرب فى تلك الفترة وكان له علماؤه ورجاله ولم يكن موضوعه مقصورا على أنساب الناس بل كان يتعدى ذلك إلى أنساب الحيوانات التى عنى العرب بها كالخيل والإبل .

ولقد ذكر صاحب تاج العروس فى مقدمته بعض الكتب منسوبة إلى أبى عبيد وكان منها كتابان هما : كتاب أنساب العرب وكتاب أنساب الخيل ويدفعنا هذا إلى التساؤل عن الوحدة أو التعدد فيما نسب إلى أبى عبيد من هاتين التسميتين : كتاب النسب وكتاب أنساب العرب .

وقد ذكر التسميه الأولى ابن النديم والقفطى كما ذكرها أيضاً ابن خير فى فهرسته فقال : كتاب النسب لأبى عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنى به شيخنا أبو عبد الله . . . عن أبى الحسن على بن عبد العزيز عن أبى عبيد وأسنده أيضا بروايات أخرى(١) .

والظاهر أنه قد جرت على هذا الكتاب بعد ذلك دورة الزمان فأخفته فيما أخفت من ذخائر أبى عبيد وجواهره .

٣ — مقاتل الفرسان :

ذكره بروكلمان ضمن الكتب التى نقل الناس منها وأشار إلى أن الناقل هنا هو السيوطى فى المزهر .

---

(١) فهرسة ما رواه عن شيوخه ٢٣٩ .

وبمراجعة المزهر ١/٤٣٤ وجدت هذا النص :

« وفى مقاتل الفرسان لأبى عبيدة : السهر فى الخير والشر ، والأرق لا يكون إلا فى المكروه وحده » .

فهل النص والكتاب لأبى عبيد أو لأستاذه أبى عبيدة ؟ إن أحداً ممن ترجموا لأبى عبيد لم يذكر له كتابا بهذا الاسم فهل نجده فى ترجمة أبى عبيدة ؟

لقد ذكر السيوطى أن لأبى عبيدة كتابا باسم طبقات الفرسان(١) فهل ثمة علاقة بين هذا الكتاب والكتاب السابق ؟ إن القضيه ما تزال فى حاجة إلى مزيد من التحقيق ، ولقد وجدت فى المزهر نصا آخر منسوبا إلى أبى عبيد فى مقاتل الفرسان هو : عبد الله بن الصمة أخو دريد بن الصمة قال أبو عبيد فى مقاتل الفرسان : « وكان له ثلاثة أسماء وثلاث كنى وكان اسمه عبد الله ومعبدا وخالدا ويكنى أبا فرعان وأبا أوفى وأبا ذفافة . وهذا النص الأخير يؤكد نسبة الكتاب إلى أبى عبيد فلعل النص الآخر كذلك وزيدت التاء فحدث اللبس .

٤ — كتاب فضائل الفرس :

ذكره ونسبه إليه « بروكلمان » وذكر أن صبح الأعشى قد نقل عنه وأشار إلى موطن هذا النقل(٢) وبمراجعة صبح الأعشى رأيناه يتحدث عن مدينة دمشق فيقول ضمن هذا الحديث « وفى كتاب فضائل الفرس

---

(١) بغية الوعاة ٢/٢٩٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٩ .

(بضم الفاء وسكون الراء) لأبي عبيد أن بيوراسب ملك الفرس بناها »(١) ويبدو من هذا النص أنه كان يعالج فى هذا الكتاب الذى لا نعلم شيئا آخر عنه بعض تاريخ الفرس .

رابعا : كتب الحديث :

كان أبو عبيد — كما سبق — من كبار الحفاظ وأئمة علوم الحديث والسنة ، وقد ذكره علماء هذا الفن وأثنوا على علمه ورواياته إلا أننا لم نعثر له على كتاب أو مؤلف خاص برواية الحديث مجرداً عن الفقه واللغة وغيرهما على نحو مسند الإمام أحمد الذى كان معاصراً له .

ذلك أن أبا عبيد كان قد شغل بالجانب اللغوى فى الأحاديث والآثار ، وأخذ على نفسه أن يقدم فيه عملا ينفع الله به المسلمين ، ويكون نبراسا لكل العاملين فى هذا الميدان .

وقد وفقه الله فأخرج كتاب غريب الحديث فيما يقرب من أربعين سنة كما سيأتى .

وإذا كان بعض المؤرخين يطلقون أحيانا مصطلح المسند على هذا الكتاب وبدونه من بين كتب إسناد الحديث ورواياته فإننا نميل إلى وضعه بين كتب اللغة أو لغة الحديث النبوى ناظرين فى ذلك إلى طبيعة الكتاب نفسه تلك التى لحمها الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث فى تقديرهم لعمل أبى عبيد كما سنذكره إن شاء الله .

---

(١) صبح الأعشى ٤/٩٢ .

وإلى أن يأتى الكلام عن غريب الحديث نحب أن نشير إلى بعض من ذكروا أن لأبى عبيد مسنداً .

لقد فعل هذا حاجى خليفة فذكر « مسند القاسم بن سلام البغدادى وهو مشتمل على الغريب »(١) .

وقد نبه صاحب تذكرة النوادر إلى أن هذا المسند يقصد به غريب الحديث حيث يقول متعرضا لاختلاف أسماء الكتب : « وغريب الحديث لأبى عبيد كان يسمى أيضا بالمسند كما تقدم »(٢) .

خامسا : كتب الأدب :

لقد كان أبو عبيد أديبا مؤدبا راويه للآداب مؤلفا فيها على طريقه عصره التى يصعب الفصل فيها بين المؤلفات الأدبية الخاصة وغيرها من كتب اللغة والمعارف العامة ، وقد وردت عن أبى عبيد بعض عبارات تدل على وعيه وتذوقه لما فى اللغة من ملامح الفن والجمال .

من ذلك مارواه أبو حاتم قال : قال أبو عبيد : مثل الألفاظ الشريفة ، والمعانى الطريفة ، مثل القلائد اللائحة ، فى الترائب الواضحة(٣) .

هذا وقد نسب إلى أبى عبيد من تلك الكتب الأدبية ما يأتى :

---

(١) كشف الظنون ٢/٤٣٤ .

(٢) تذكرة النوادر ٩٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١٢/٤١٠ .

معانى الشعر :

وقد نسبه إلى أبى عبيد ، وأشار إليه بروكلمان ضمن كتبه المنقول عنها ولم يذكر لنا شيئا عن فقده أو وجوده وإن كان قد أرشدنا إلى النص المنقول عنه فى طبقات الشافعية لابن السبكى(١)

ولعل قراءتنا لهذ النص توضح لنا شيئا عن طبيعة هذا الكتاب .

يقول ابن السبكى :

قال أبو عبيد فى قول الشاعر :

فإن أدع اللواتى من أناس أضاعوهن لا أدع اللذينا

الذى هنا لاصلة لها والمعنى إن أدع ذكر النساء لاأدع ذكر الرجال قلت : هذا البيت للكميت وهو شاهد ذكر الموصول بغير صلة لقرينة .

قال أبو عبيد فى معنى قول الشماخ :

وماء قد وردت لوصل أروى عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

إن فيهما تقديما وتأخيرا والتقدير فى الأول : وماء كالورق اللجين عليه الطير ، واللجين الذى قد ضرب حتى تلجن ، والتقدير فى الثانى مقام الذئب اللعين كالرجل انتهى ذكره فى كتابه فى معانى الشعر)(٢) .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢ / ١٥٩

(٢) طبقات الشافعية ١ / ١٧٣

وهكذا يبدو لنا أن موضوع هذا الكتاب كما يظهر من هذا النص كان لغويا أدبيا أو قل كان أدبيا بالمعنى الواسع للأدب .

٢ — كتاب الشعراء :

ذكره ابن النديم(١) والقفطى(٢) وغيرهما ممن نقل عن الفهرست ولم يذكر أحد ممن أطلعت على ترجماتهم شيئا عن موضوع هـــذا الكتاب والذى نرجحه أنه ربما كان على نسق كتاب محمد بن سلام الجمحى المعروف بطبقات فحول الشعراء وقد كان أبو عبيد وابن سلام متعاصرين وهذا مجرد احتمال إلى أن نتمكن من العثور على هذا الكتاب أو على مايوضح طبيعته من أوصاف أو نصوص .

٣ — كتاب الأمثال :

وقد نسبه إليه صاحب الفهرست(٣) والقفطى(٤) ، وقد رواه ابن خير وذكر إسناد رواياته فى فهرسته كما ذكر ذلك بالنسبة لشرحه المعروف بفصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى(٥) .

وقـد ذكره « بروكلمان » قال : ويسمى المجلة كما ذكر ذلك صاحب الخزانة ٢ : ١١س٢ والظاهر أن بروكلمان قد أتى فى هذه التسمية من ناحية

---

(١) الفهرست ١١٢
(٢) انباه الرواه ٣ / ٢٢
(٣) الفهرست ١١٢
(٤) إنباه الرواة ٣ / ٢٢
(٥) فهرسة ماروا ه عن شيوخه ص ٣٣٩ ، ٣٤٤

أن لأبى عبيدة معمر بن المثنى كتابا فى الأمثال ذكره ابن خير وأشار إلى تسميته بالجملة(١) .

ويوضح لنا « بروكلمان» بعد ذلك أن هذا الكتاب مازال موجوداً فهو يوجد برواية ابن خالوية المتوفى سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م فى كوبريلى ١٢١٩ كما يوجد أيضاً فى باريس أول ٣٩٦٩ والموصل ٢٠٦ والمتحف البريطانى ٩٩٥ وفيض الله ١٥٧٨ ورامبور .

ويوجد أيضا برواية أبى الحسن على بن عبد العزيز — أنظر فهرست ابن النديم ٧٢ — مانشستر ٧٧٣

ومنه مخطوط عن نسخة بخط المؤلف مع زيادات أخرى فى اسكوريال ثانى ١٧٥٧

ويوجد مختصر منة فى القاهرة أول ٤ : ٣٢١ وقد نشر هـذا المختصر مرتبا على حروف الهجاء ضمن كتاب التحفة البهية فى استانبول سنة ١٣٠٢هـ ص ٢ : ١٦ ، ونشره برتو فى جوتنجن ١٨٣٦

... ولـكن هـذا السكتاب متأخر كثيراً عن كتاب الأمثال لأبى عبيد . .

ثم يذكر بروكلمان أن البـكرى قـد شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد بكتاب عنوانه : فصـل المقال فى شرح كتاب الأمثال ومنه مخطوط فى اسكوريال ثانى ٥٢٦ كما يوجد مخطوط منه فى مكتبة الفاتح ٤٠١٤ (نقلا عن رتز) ومنه مخطوط آخر فى لا للى(٢) ١٧٩٥

---

(١) انظر فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣٤١

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٧ وما بعدها .

وقد جاء فى فهرس المخطوطات ص٧٧ : أمثال العرب: تأليف الإمام أبى عبيد القاسم بن سلام البغدادى المتوفى سنة ٢٢٤هـ وتلك تسمية أخرى للكتاب كما يظن ، وقد سماه بعضهم أيضا بالأمثال السائرة ، والمعروف أن كل هذه التسميات إنما هى لكتاب واحد .

وينفى الدكتور عبد المجيد عابدين أن تكون تلك الرسالة المنشورة فى كتاب التحفة البهية المطبوع فى الآستانة سنة ١٣٠٢هـ والتى تشغل من ص ٢ إلى ص١٦ والمحسوبة على ب٨ مثلا مرتبة على حسب حروف المعجم . والتى تتوالى فيها عبارات الأمثال دون شرح أو تعليق — ينفى الدكتور نسبتها إلى أبى عبيد مؤكداً أن لأبى عبيد كتابا واحداً فى الأمثال .

وقد وصل إلينا هذا الكتاب كما وصل إلينا شرحة لأبى عبيد البكرى. يقول الدكتور :

(بل وصل إلينا كتاب الأمثال الذى عرفه القدماء لأبى عبيد وله نسخ مصورة لاتزال تنتظر من ينشرها ، منها نسخة مصورة من اليمن وهى مكتوبة فى القرن الخامس ، وأخرى أحدث منها بقليل ، مصورة من مكتبة فيض الله أفندى بالآستانة رقم ١٥٧٨

وفيما يلى نورد جزءا من مقدمة الكتاب نقلا عن النسخة الأخيرة : « هـذا كتاب الأمثال ، وهى حكمة العرب فى الجاهلية والآسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكتابة غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه ، وقد ألفناها فى كتابنا هذا على منازلها ولحضنا صنوفها ، وذكرنا المواضع التى يتكلم بها فيها ، ونضرب عندها واسندناها إلى علمائها ، واستشهدنا بنوادر الشعر عليها أو على ما أمكن منها ، وكان مما دعانا إلى تأليف هذا الكتاب وحثنا عليه ما روينا من الأحاديث المأثورة عن النبى

ﷺ أنه قد عنى بها ، وتمثل بها هو ومن بعده من السلف ، وقد ذكرنا ذلك ليكون حجة لمذهبنا »(١) .

ولهذه المقدمة أهمية كبرى حيث إننا لم نعثر على أية مقدمة لأى كتاب من كتب أبى عبيد وإنها لتدل على عقلية منظمة ، وتفكير هادىء منمق ، وأسلوب علمى وأدبى رائع ، فقد أوجز الشيخ فى تلك الكلمة القصيرة موضوعه ، وغرضه ، ومنهجه ، والأسباب التى دفعته إلى هذا التأليف .

وإن هذا ليؤكد لنا ماسبق أن ذكرناه فى غير هذا المكان من أن علماء العربية كانوا على منهج صائب ، ونهج مستقيم ، وأننا عندما نضع أيدينا على مقدمات كتبهم ، ومافى ثناياها ، سنقف على علم المنهجة أو المناهج العربى ، وسنرى فيه مايغنى ويثرى ويوضح لنا قدر بضاعتنا التى ترد إلينا ، فتمير أهلنا ، ونزداد فضلا وتيسيراً .

وقد أخذ أبو عبيد فى هذا الكتاب عن عدد كبير من علماء اللغة والآداب منهم من كان صاحب تأليف فى الأمثال مثل المفضل الضبى المتوفى سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م وكتابه فى الأمثال مطبوع فى الآستانة وفى القاهرة وأبى الفيد مؤرج السدوسى العجلى المتوفى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م وكتابه ما زال مخطوطا فى مكتبة الأسكوريال تحت رقم ١٧٠٥ ، وأبى عبيده معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م وكتابه ما يزال مخطوطا ، وأبى زيد الأنصارى المتوفى سنه ٢١٥هـ/ ٨٣٠م وقد أشار إلى كتابه هذا القدماء ولكن لانعرف شيئا عنه ، والأصمعى المتوفى سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م .

ويقول محققا كتاب فصل المقال : ولعل معظم ما نقله أبو عبيد القاسم فى أمثاله كان عن أستاذه الأصمعى ، ويذكر القدماء أنه صنف كتابا فى

---

(١) الأمثال فى النثر العربى القديم ١٩٣ — ١٩٤

الأمثال ولكنه لم يصل إلينا ، ومن الممكن أن تجمع جزءا غير قليل من أمثال الأصمعى مما رواه أبو عبيد القاسم فى كتابه ، وقد أشار البكرى إلى كتاب الأصمعى هذا (انظر ص ٤٢ ، ٢١٩)(١) .

كما أخذ أبو عبيد عن أساتذته الآخرين الذين لم تذكر لهم كتب فى الأمثال مثل الكسائى المتوفى ١٨٩هـ/٨٠٥م ، وأبى زكريا الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م ، وعلى بن المبارك الأحمر المتوفى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩ — ٨١٠م ، والأموى المتوفى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩ — ٨١٠م، وهشام الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م .

وهؤلاء جميعا يعدون من أكثر المصادر التى اعتمد عليها أبو عبيد فى كتبه وخاصة الكتب اللغوية والأدبية وكان أخذه عنهم بأفضل الطرق التى يعتمدها المنهج العلمى وترضاها أصول الروايا وليس بالانتزاع أو التجميع على نحو ما يشير إليه بعضهم أحيانا .

وقد عنى العلماء والأدباء بهذا الكتاب عناية حظيت بها كل كتب أبى عبيد .

فقد رواه عنه تلاميذه وفى مقدمتهم على بن عبد العزيز المتوفى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م ، وثابت بن أبى ثابت وقد ذكر على بن عبد العزيز أنه قرأه على أبى محمد سلمة بن عاصم النحوى صاحب الفراء فزاده فيها أشياء ألحقها فى حواشى الكتاب ، كما أنه قرأه أيضا على أبى عبد الله الزبير بن بكار وهو قاضى مكة وكتب ما زاده فيه ونسبه إليه .

ومن قرأ الكتاب أيضا وأضاف إليه بعض الحواشى بخطه الإمام اللغوى أبو بكر محمد بن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٧هـأو / ٣٢٨/٩٤٠م

---

(١) مقدمة تحقيق فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ص ز

وقد رواه أيضا ابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٧ هـ ٩٥٨ م وطاهر بن عبد العزيز القرطبي المتوفى سنة ٣٠٥ هـ ٩١٧ م وتلقاه أبو على القالى عن ابن درستويه وكذلك أخذ عن القالى أبو عمر أحمد بن أبى الحباب وغيرهما وتلقاه عن طاهر قاسم بن سعدان ، وأبو بكر بن القوطية وغيرهما .

وقد حمل الكتاب إلى الأندلس وروى بها حتى بلغ أبا عبيد البكرى ويقال إن أول من أدخل هذا الكتاب إلى الأندلس هو وهب بن نافع — ٢٧٣ هـ(١) .

وقد ذكر البكرى فى أول شرحه سلسله روايته لكتاب أبى عبيد(٢) .

كما ذكر ابن خير عدة طرق لروايته لهذا الكتاب(٣) .

وقد ظهرت حول هذا الكتاب عدة دراسات ومؤلفات من أهمها :

١ — كتاب زيادات أمثال أبى عبيد لمحمد بن أبى جعفر المنذرى الخراسانى اللغوى العدل أبى الفضل .

ذكره ياقوت(٤) ، وقد شار إليه الأزهرى فقال : « لأبى عبيد كتاب الأمثال ، قرأته على أبى الفضل المنذرى ، وذكر أنه عرضه على أبى الهيثم الرازى ، وزاد أبو الفضل فى هذا الكتاب من فوائده أضعاف الأصل فسمعنا الكتاب بزياداته »(٥) .

---

(١) فصل المقال : المقدمة ص هـ وما بعدها
(٢) المرجع السابق ص ٥
(٣) انظر الفهرسة ص ٣٣٩ وما بعدها
(٤) إنباه الرواة حاشية ص ٧١
(٥) تهذيب اللغة حـ ١ ص ٢٠

٢ — شرح أمثال أبي عبيد لمحمد بن آدم بن كمال أبي المظفر الهروى الأستاذ الكامل الإمام في الأدب والمعانى مقدم زمانه في شرح الأبيات والألفاظ والأمثال ... توفى سنة ٤١٤هـ(١) .

وقد ذكر هذا الشرح صاحب كشف الظنون(٢) أيضا .

٣ — شرح أبيات أمثال أبي عبيد لعبد الله بن أحمد بن الحسين الشامانى المتوفى سنة ٤٧٥(٣) .

٤ — فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكرى الأوني المتوفى سنة ٤٨٧ هـ وهو مطبوع مشهور وقد قام بتحقيقه الدكتوران : عبد المجيد عابدين وإحسان عباس .

ويقول البكرى في مقدمته بعد حمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصفوة الله من رسله :

« أما بعد فإني تصفحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام فرأيته قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال ، فجاء بها مهملة ، وأعرض أيضا عن ذكر كثير من أخبارها فأوردها مرسلة فذكرت من تلك المعانى ما أشكل ، ووصلت من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل ، وبينت ما أهمل ونبهت على ما ربما أجمل إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها ، وأمثال جمة غير مذكورة ذكرتها ، وألفاظ عدة من الغريب فسرتها وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) إنباه الرواه حـ ٣ صـ ١٢٦

(٢) كشف الظنون حـ ١ صـ ١٥٠

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووى صـ ٢٧٨

وقد رتبتها على عشرين بابا يتفرع منها أبواب فى مجالها(١) .

وقد كان للبكرى على الهروى نقود أهمها :

١ — الإهمال فى نسبة الشعر إلى قائله أو الجهل بذلك القائل .

ومن ذلك أن يقول أبو عبيد عند رواية بيت شهور لأبى خراش الهذلى : يقول الشاعر فى سالف الدهر ص ٢١١ من هذا الكتاب . ومنها أيضا قوله عندما روى البيت :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

« وهذا البيت يقول بعضهم انه لعثمان بن عفان » وعند هذا الموقف يغضب البكرى فيقول معلقا : كيف جهل أبو عبيد أن هذا البيت من شعر الأبيرد اليربوعى وهو أشهر من أن يجهله أحد فكيف يجهله أحد الجلة من العلماء بفنون العلم ص ٣٣٥ »(٢) .

٢ — الخطأ فى فهم بعض الأمثال .

٣ — الإحالة إلى كتاب غريب الحديث والغريب المصنف .

٤ — التخرج من ذكر بعض الأسماء أو رواية بعض القصص(٣) .

على أن البكرى كان كما يقول المحققان أحيانا « يتكلم فى بعض التخريجات ويأخذ على أبى عبيد ما يقع فيه غيره من العلماء » .

كما أن مما يمكن أن يلام البكرى عليه أنه أغفل كثيرا من أمثال أبى عبيد فلم يذكر منها إلا ما ناسب الشرح (ونحسب أن ما حذفه من الامثال من

---

(١) فصل المقال ص ٣

(٢) فضل المقال : مقدمة المحققين ص ن ، س

(٣) انظر أمثلة ذلك فى المرجع السابق ص س ، ع

أصل أبي عبيد أضعاف أضعاف ما زاده إليه أثناء الشرح لأنه كان في بعض الاحيان يغفل أبوابا كاملة)(١) .

هذا وقد ذكروا أن كتاب أبي عبيد لم يكن يضم كثيرا من الامثال وأرجع بعضهم هذه القلة إلى ما التزمه أبو عبيد من نظام التبويب فلم يستطع أن يذكر من الأمثال إلا ما دخل تحت قلك الأبواب أو الفصول والحق أني لا أسلم مطلقا بتلك العلة وأرجح أن يكون السبب في ذلك راجعا إلى ما عرف عن أبي عبيد من الدقة ، والتحرج في الرواية ، والمثالية الخلقية فيما يذكر ويروى .

وعلى هذا فإن القلة هنا إنما هي في العدد فقط أما الكيف فإنه باق على ماله من قدر كبير باعتراف أهل العلم والفضل من العلماء والمؤرخين .

ومن النصوص التي تشير إلى قلة عدد أمثال ابي عبيد ما ذكره صاحب الإنباه :

(وقال أبو عبيدة : دفعت إلى جعفر بن سليمان أمثالا في الرقاع قيل لي : كم كانت ؟ قلت : أربعة عشر ألف مثل .. فانظر الى هذه السعة في الرواية وبين ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه لما اجتهد جاء بألف مثل)(٢) .

واني لأعجب لصاحب هذه الرواية وأتساءل كيف يتصور — إذا كان يذكر هذا على سبيل العقد — أن يكون أبو عبيد القاسم قد قلل من عدد أمثاله على سبيل العجز أو التقصير ؟ وهما محالان لأن أبا عبيدة كان من شيوخه وممن روى عنه بالإضافة إلى غيره من الشيوخ والأساتذة الآخرين ولو أراد القاسم أن يحوز كما كبيرا لما وجد حرجا في رواية ما ذكره أساتذته وشيوخه ،

---

(١) فصل المقال : مقدمة التحقيق ص ٤

(٢) إنباه الرواة ٣ / ٢٨٤

على أننا — من ناحية أخرى — نشك فيما ذكرته هذه الرواية من ذلك العدد إذ كيف يصح هذا مع ماقيل من أن المختصر المطبوع يضم وحده كما سبق ذكره ٨٢٠ مثلا . ؟

إن أباعبيد كان رائداً حقاً ، فى هذا الكتاب ولكن الحكم الحقيق على عمله فيه محال أن يتم إلا بعد خروج هذا الكتاب إلى النور وانتشاره وتيسير دراسته للناس .

سادساً : كتب اللغة :

كان أبو عبيد لغوياً مشهوراً وراوية من أكبر رواة اللغة وقد أودع ثمرات فكره وعقله فى كل الكتب التى صنفها فى مختلف العلوم والفنون وقد كان حريصا فى كل ما كتب وألف وفى كل ماوضع على إشعار قارئه بأنه لغوى يعرف للغة قدرها وللعربية قيمتها ، ومن ثم فإنك لاتكاد تقرأ له كتابا إلا وتحس بتلك السمة اللغوية التى تدل على ذكاء أبى عبيد وما يتمتع به من قدرة لغوية فائقة .

وإن قارىء أبى عبيد أو دارسه يستطيع — من هذا الملحظ — أن يصف كل ما ألفه بأنه لغوى ، وإن هذا الجانب لجدير بدراسة خاصة ، تتناول تلك السمة اللغوية وتبرز كل جوانبها فيما بقى من مؤلفات هذا الشيخ الجليل .

ومع هذا فقد كان لأبى عبيد جهود لغوية بحتة أو لغوية متصلة ببعض مصادر اللغة كالقرآن الكريم والحديث الشريف أو بعض مظاهرها اللهجية أو الدلالية وغيرها .

وهى جهود عرفها له معاصروه وأفاد منها الذين جاءوا بعده ومازالت إلى اليوم — على الرغم من أنها لم تنل حظها مطلقا من التحقيق

والدراسة — منهلا عذبا لكل وارد من أبناء العربية الحريصين عليها .

أفتح أى معجم من المعاجم أو أى كتاب من كتب اللغة أو أى تفسير للقرآن الكريم أو الحديث الشريف فإنك ستجد دائما أمامك أبا عبيد راويا محققا أو موفقا .

ولقد بدا لى يوما أن أجمع ما فى المزهر للسيوطى من أقوال أبى عبيد والنقول عنه فرأيت نفسى أمام قـــدر هائل من تلك الأقوال والنقول تشعرك بخطورة وعظمة هذا العالم الذى لم ير أهم كتبه النور بعد ، ولم يعرف العالم إلى اليوم شيئا عن أماكن أو معتقلات هذه الكتب النافعة المفيدة .

ولما كنت أعلم أننى لا أستطيع أن أبرز الشخصية اللغوية لأبى عبيد من خلال كتبه التى اطلعت عليها ، فى هذه العجالة فقد رأيت أن أخصص بعضها وبخاصة للغريب المصنف وغريب الحديث دراستين مستقلتين ألم فيهما بما يستحقان من نظر وفحص ، وتعمق وتدقيق ، وأن أقتصر فى هذه العجالة باللمحات الأساسية التى تفصلها تلك الدراسة الخاصة التى أنهيت مسوداتها تقريبا بفضل الله .

وسيرى القارىء بإذن الله أنه لن يفوته بهذا الإنجاز هنا إلا ما فى التفصيل والإطناب فى مواقفهما من زيادة التأمل وحلاوة التعمق ، وكثرة التمثيل ، وبلاغة التدليل .

وما أجمل أن يأتى هذا كله بعد الإجمال والتعميم .

لقد نسبت إلى أبى عبيد كتب لغوية كثيرة .

وليسمح لنا القارىء بأن نبدأ بذكر بعض هذه الكتب التى لا تساعدنا المعلومات عنها بالوقوف طويلا عندها ، فهى إما ذاهبة فيما ذهب وإما باقية

منها أسماءها مع نص أخذه عالم منها قبل غيابها ولا نقول ضياعها . وقد يثبت التحقيق العلمي أحيانا أن بعضها ربما كان راجعا إلى بعض آخر منها أو أنه مما جاءته النسبة عن طريق الخطأ أو غفلة النساخ .

ومن هذه الكتب :

١ — كتاب المقصور والممدود :

ذكره صاحب الفهرست(١) فى مؤلفات أبى عبيد وأشار إليه كثيرون كالقفطى(٢) وغيره .

ويرجح هذه النسبة لأبى عبيد ماعرف عن تلك الفترة التى عاش فيها من شيوع التأليف فى هذا الفن الذى هو معنى بجمع الألفاظ التى تدخل فى دائرة ماسموه بالمقصور والممدود .

فقد ألف فيه الفراء وهو أحد أساتذة أبى عبيد و كتابه محقق مطبوع تحت عنوان المنقوص والممدود ، وقد ذكر المحقق سبب تسميته بهذا الإسم مع أن السابقين يطلقون عليه تسمية المقصور والممدود وذلك أنه قفا فيه الأصل(٣) .

وكذلك ينسب للأصمعى ، وللمفضل به سلمة ، وغيرهما كتب بهذه التسمية .

---

(١) الفهرست ١١٢

(٢) إنباه الرواه ٣/٢٢

(٣) انظر : المنقوص والممدود للفراء تحقيق : عبد العزيز الميمنى ص ٦ .

أما من ألفوا بعد أبي عبيد في هذا الموضوع فهم كثيرون من أشهرهم ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وابن خالويه سنة ٣٧٠ هـ وابن درستوية المتوفى سنة ٣٤٧ وابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ وغيرهم كما يذكر صاحب كشف الظنون (١) .

وقد عثر على بعض هذه الكتب ، وتم طبع بعضها ، لكن أحدا لم يعثر بعد — على حسب علمنا — عن كتاب أبي عبيد ولعل الله يوفق في العثور عليه .

٢ — كتاب المذكر والمؤنث :

وقد ذكره ابن النديم في مؤلفات أبي عبيد (٢) والظاهر أن الآخرين من نسبوا إلى أبي عبيد مثل هذا الكتاب قد أخذوا ذلك عن ابن النديم .

وقد ألف في هذا الفن أيضا كثيرون ذكرهم صاحب كشف الظنون (٣).

وليس فيهم أحد من أساتذة أبي عبيد مما يوحي إذا صح بأسبقية شيخنا وريادته في هذا المجال .

وكما لم يعرف شيئا عن كتاب المقصور والممدود فإننا كذلك نجهل كل شيء عن هذا الكتاب الذي نرجو ألا يعد في كتبه المفقودة .

---

(١) أنظر أسماء هؤلاء المولفين في كشف الظنون ٢/٣٠١ .

(٢) الفهرست ١١٢ .

(٣) كشف الظنون ٢/٢٩٩ .

٣ — كتاب خلق الإنسان ونعوته :

وقد ذكر هذا الكتاب « بروكلمان »(١) وأشار إلى أنه موجود بمكتبة طبقبو ٢٥٥٥ رقم ١ . والظاهر أن هذا الكتاب يمثل إحدى الرسائل المجموعة فى مجلد واحد فقد علق « بروكلمان » على مكان وجود هذا الكتاب فقال : « حيث يظن أن بقية الرسائل فى هذا المجلد مصنفات مختلفة من عمل المؤلف نفسه ولكن الراجح أنها كلها قسم من كتاب عريب المصنف كما يدل على ذلك الفهرست (٢) » .

ومع أننا لم نر هذا المجلد إلا أننا نستطيع القول بأن من المحتمل أن يكون كتاب خلق الإنسان كتابا مستقلا وليس جزءا من الغريب المصنف الذى يضم فعلا بين كتبه وأبوابه كتابا بهذا العنوان ذلك أن التأليف فى خلق الإنسان ونعوته كان شائعا بين اللغويين فقد نسب إلى أبى مالك عمرو ابن كركرة ، والنضر بن شميل ٢٠٤ وقطرب ٢٠٦ وأبى عمرو الشيبانى ٢٠٦ والمفضل بن سلمة ٢٠٨ وأبى عبيدة ٢١٠ والأصمعى ٢١٣ وأبى زيد الأنصارى ٢١٥ وغيرهم كتب بهذا الإسم كما نسب إلى أبى محمد ثابت بن أبى ثابت وراق أبى عبيد كتاب بهذا الإسم أيضا .

وقد وصلت إلينا بعض هذه الكتب مثل كتاب الأصمعى ، وكتاب ثابت تلميذ أبى عبيد (٣)

ولم يذكر الدكتور حسين نصار أبا عبيد بين المؤلفين للكتب المستقلة بهذا الموضوع وان كان قد ذكره بين من عالجوا هذا الفن فى مصنفاتهم .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٨ .
(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٨ .
(٣) أنظر : المعجم العربى ١٠٠/١٣٠ وما بعدها .

وهكذا يظل الأمر موقوفا حتى يظهر الكتاب السابق المنسوب لأبى عبيد.

٤ — كتاب الأضداد والضد فى اللغة :

ذكره ونسبه إلى أبى عبيد « بروكلمان » وأشار إلى وجوده بمكتبة عاشرا فندى تحت رقم ٨٧٤ السليمانية أسطنبول (١) .

ولم أر فيما أطلعت عليه من تراجم أبى عبيد من نسب إليه كتابا فى الأضداد وإن كان بو عبيد قد تناول هذه الظاهره فى غريبه المصنف، وأن هناك من نقل عنه من مؤلفى الأضداد الذين جاءوا بعده .

فهناك فى الغريب المصنف باب للأضداد أو كتاب كما جاء فى نسخة أخرى (٢) .

وفى كتاب ابن الأنبارى وابن السكيت فى الأضداد بعض نقول باسم أبى عبيد فهل هى من ذلك الكتاب الخاص بالأضداد أو أنها من باب الأضداد فى الغريب المصنف ؟

لقد جاء نقل ابن الأنبارى (٣) فى حديثه عن كلمات منها :القرء ، والنبل والمغازة ، والمدوغ ، ومقتو ، ومثليهم . . الخ .

ولم أجد فى باب الأضداد فى الغريب المصنف أى كلام عنه سوى لفظ الإقرار . ولعل فى هذا ما يدل على أن هذا النقل كان من كتاب آخر هو ذلك الذى ذكره « بروكلمان » خاصة أن التأليف فى الأضداد كان شائعا

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) أنظر الغريب المصنف نسخة تحت رقم ١٢١ لغة ص ٣٩٥ ونسخة أخرى تونسية ص

(٣) أنظر : الأضداد فى اللغة صفحات ٢٣، ٧٨، ٨٩، ٩٠، ١٠٣، ١١٧ .

بين لغوى ذلك العصر ، وقد وصل إلينا كتاب فى الأضداد للأصمعى أستاذ أبى عبيد ، ونشره « هفنر » فى بيروت سنه ١٩١٢ م .

ولعل كتاب أبى عبيد حبيساً فى مكان ماينتظر الإفراج عنه والنشر على أحر من الجمر .

هذا وقد نقل السيوطى فى مزهره عن هذا الكتاب فقال :

« وفى كتاب الاضداد لأبى عبيد : تقول العرب ظلمة ظلماء ، وقطانى قطواء »(١) وهذا يؤكد أنه رأى ذلك الكتاب .

٥ — كتاب النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض :

ذكره بروكلمان وقال نشره بوجس ... وقال : وربما كان هذا أيضا قسما من كتاب غريب المصنف(٢) .

ومع أن ناشر هذا الكتاب قد نسبه إلى أبى عبيد فإن بعض الباحثين يرون نسبته إلى ابن قتيبة ويردون من يتشكك فى هذه النسبة .

يقول الدكتور عبد الحميد سند (وقد شك الدكتور الحسينى فى نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة ولكنى أرجح صحة هذه النسبة لأنه يناقش الجاحظ ويخطئه فى بعض الألفاظ على طريقته المعهودة أضف إلى ذلك أنه طعمه ببعض الألفاظ الفارسية كعادته حين يتحدث عن أصل الكلمة أحيانا وحين يقارن بين اللفظين الفارسى والعربى)(٣) .

---

(١) المزهر حـ ٢ ص ٢٤٩

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٨

(٣) ابن قتيبة ، العالم الناقد الأديب ص ١٦٦

وقد ذكر باحث حديث فى أبن قتيبة أن الدكتور الجبورى قد انتهى من دراسته لهذا الكتاب إلى نسبته لمؤلف عاش بعد ابن قتيبة .

وهكذا نرى حيرة هذا الكتاب واختلاف العلماء فى نسبته بل واختلافهم فى تقويمه فهذا الدكتور سند يثنى عليه ويقول إنه كتاب مفيد جداً من الناحية اللغوية .

نرى الباحث السابق يقول ، وكتابه عبارة عن نصوص لغوية مجموعة من كتب اللغة لا سمة لطابع التأليف فيه .

ويقتضى الانصاف أن أؤجل حكمى على هذا الكتاب حتى أطلع عليه ذلك أنه وإن كان مطبوعا فهو فى حكم المخطوطات .

وإلى أن نلتقى بصفحات هذا الكتاب فإنه يمكننا أن نطمئن قليلا بقراءة ما أشار إليه الدكتور حسين نصار حيث يقول .

(كل هذه الأمور التى رأيناها فى الغريب المصنف نراها بعبارتها فى كتاب النعم والبهائم والوحش ...المنسوب لابن قتيبه ونشره الأب موريس بوج pnouricepouges ولا خلاف بينهما إلا فى أن هذا حذف شواهد أبى عبيد وأسماء اللغويين والأعراب الذين ذكرهم وقد شك المحقق فى نسبة الكتاب ورجح أنه ليس لابن قتيبة وأقام ترجيحه على أسباب وجيهة(١) .

---

(١) المعجم العربى ١ / ٢١٥

٦ — كتاب فعل وأفعل .

وقد ذكره (بروكلمان) وأشار إلى أنه فى القاهرة ثانى[١] ٣ ، ٢٨١

كذلك أشار الدكتور حسين نصار إلى هذا الكتاب فى حديثه عن الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع حيث يقول ، (وكانت كتبه الأولى تعالج صيغتى فعل وأفعل وتتناول هاتين الصيغتين من الفعل الواحد حين تتفقان فى المعنى أو تختلفان أو لا يرد للعرب إلا إحداهما وأول من روى أنه ألف فيه قطرب ٢٠٦ هـ ، والفـــراء (٢٠٧) هـ ثم أبو عبيدة (٢١٠) والأصمعى ٢١٣ هـ ، وأبو زيد الأنصارى ٢١٥هـ ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤ هـ وورد فى أبواب الغريب للمصنف أيضاً[٢] .

٧ — كتاب ما خالفت فيه العامة لغة العرب :

ذكره (بروكلمان) وأشار إلى أن صاحب لسان العرب قد نقل منه بعض نصوصه فى الجزء السابع / ٢٦٣ س ١٥ وبالنظر فى ذلك الموضوع من لسان العرب نراه يقـول : القاقوزة كالقازوزة وهى أعلى منها أعجمية معربة قال أبو عبيد فى كتاب ما خالفت فيه العامة لغات العرب هى قاقوزة وقازوزة التى تسمى قاقزة .

وقد ذكر الدكتور عبد العزيز مطر هذا الكتاب ونقل النص السابق عن لسان العرب ولاحظ الاختلاف اليسير فى التسمية بين بروكلمان وما ذكره بن منظور وأشار إلى أن الكتاب مفقود[٣] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٩

(٢) المعجم العربى حـ ١ ص ١٨٠

(٣) لحن العامة فى الدراسات اللغوية الحديثة ص ٥٩

وتبدو الإشارات إلى هذا الكتاب شاحبة عند الدكتور حسين نصار فهو لا يذكر حتى ذلك النص الذى أشار إليه بروكلمان (١) .

وكذلك فعل الدكتور محمد حسين آل ياسين فقد ذكر مؤلفات لحن العامة بعد الكسائى وذكر المؤلفين فيها ومن بينهم كان أبو عبيد ثم قال : « ولم يصل إلينا — فيما عدا — كتاب ابن السكت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ منها شيء سوى نص واحد من كتاب الأصمعى نقله ابن يعيش لا تعنى شيئا فى معرفة منهج الكتاب(٢) » .

٨ — كتاب النخل والكرم :

ولم نر أحدا من المؤرخين ينسب إلى أبى عبيد كتابا بهذا الاسم غير أن الناشر الثانى لهذا الكتاب ضمن مجموع البلغة فى شذور اللغة يقول عن نسبة الدكتور هفنر هذا الكتاب للأصمعى : « أما نسبة الدكتور هفنر هذا الكتاب للأصمعى فهو على ما نظن على التغليب لأن نسختنا التى أخذ عنها لا تصرح باسم الأصمعى ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبى عبيد معاصر الأصمعى وقد توفى سنه ٢٢٤ للهجرة (٧٣٩م) ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد أن الشروح للمفردات يوافق ما جاء فى لسان العرب والمخصص لابن سيده منسوبا لأبى عبيد أكثر منها الأصمعى ، ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى كما رواه عن أستاذه وعن أبى عبيد فجمع بين روايتيهما ولذلك نرى اسمه فى أول كتاب الكرم والله أعلم(٣) .

---

(١) انظر : المعجم العربى . . ص ٩٦ وما بعدها .
(٢) الدراسات اللغوية عند العرب ص ١٧٣ .
(٣) البلغة فى شذور اللغة ص ٦٣

وفى هذا الكتاب عبارات تشبه ما فى كتاب أو باب النخل فى الغريب المصنف وبخاصة فيما وضع تحت هذا الاسم من الكتاب مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا القسم من كلام أبى عبيد من كتاب خاص أو من كتابه الغريب المصنف ، وفى كتاب « التنبيهات على أغاليط الرواه » نص يشبه أيضاً ما فى هذا الكتاب لكنا وجدناه كذلك فى الغريب المصنف وهو قوله : وقال أبو عبيد (ب٢٨٣) فى كتاب النخل : فاذا قلعت الودية من أمها بكريها قيل دربه منقلة (وقال الطرمى غلط أبو عبيد فى قوله بكريها إنما هو بكربه والقول قول الطوسى[1])

وربما أيد هذا كلامنا السابق وماذهبنا إليه من ترجيح .

٩ — كتاب ما ورد فى القرآن من لغات القبائل :

ويرى « بروكلمان » أن هذا لا يمثل كتابا مستقلا وأنه عبارة عن قائمة مأخوذة من كتاب أبى عبيد المفقود والمسمى : بغريب القرآن ، وقد طبعت هذه القائمة على هامش كتاب التيسير فى علم التفسير لعبد العزيز بن محمد الديربى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) المطبوع فى القاهـــرة سنة ١٣٩٠ هـ[2] .

هذا ويرى الدكتور حسين نصار أن تلك الرسالة المطبوعة على هامش تفسير الجلالين المطبوع بدار إحياء الكتب العربية ليست إلا نسخة مهذبة ومزيدة من الكتاب المنسوب إلى ابن عباس فى هذا الموضوع كما يرى أن تلك الرساله ليست لأبى عبيد القاسم بن سلام وإنما هى لراو

---

(١) التنبيهات ص ٢٣٩

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٩

يسمى أبا القاسم بن سلام ، ولم يستطع معرفته ، وإن أكثر السيوطى من النقل عنه فى الإتقان مكتفيا بذكر كنيته دون اسمه .(١)

وقد ذكر الدكتور صلاح المنجد فى مقدمة تحقيقه للكتاب المنسوب إلى ابن عباس أن « لغات القرآن موضوع جليل ذو شأن ، عنى به العلماء وأصل النظر فى اللغة منذ القرن الأول للهجرة وألفوا فيه فى القرن الثانى فكان ممن ألف منهم : الفراء ، وأبو زيد ، والأصمعى ، والهيثم بن عدى ، ومحمد بن يحيى القطيعى ويذكر ابن النديم أن ابن دريد ألف كتابا فى لغات القرآن أيضاً وأنه لم يتمه(٢) .

وربما دفعنا هذا إلى القول بعدم استبعاد أن يكون لأبى عبيد رسالة فى هذا الموضوع وأن المقصود بأبى القاسم هو أبو عبيد إذا أخذنا فى الاعتبار إمكان سقوط لفظ عبيد أو زيادة لفظ « أبى » خاصة أنه قد عرف عن أبى عبيد العناية بالقرآن الكريم ودراسات وأنه قد نسبت إليه فيما يتصل بلغته آراء لا نكاد نجدها فى أى من كتبه الأخرى وخاصة أن بعض العلماء وضع مكان أبى القاسم هـذا فى نص ذكره السيوطى اسم أبى عبيد القاسم بن سلام كما سيأتى فى الحديث عن الغريب المصنف .

---

(١) المعجم العربى حـ ١ صـ٧٤

(٢) كتاب اللغات فى القرآن : صـ ٥

١٠ — كتاب الرحل والمنزل :

وقد نشره الأب لويس شيخو فى مجموعة : البلغة فى شذور اللغة من ص ١٢١ إلى ص١٣٦ وذلك عن مجموع ينسب لابن قتيبه باسم : الجراثيم وقد رجح الأب نسبته إلى أبى عبيد نظراً لأنه لم يعرف لابن قتيبة كتاب بهذا الأسم ولأن معجم لسان العرب و كتاب المخصص لابن سيده يكادان يذكران معظم مضامين هذا الكتاب متفرقة فى مكانها وبحرفها الواحد وهما ينسبانها لأبى عبيد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٩) م(١) .

ويرى الأب أن هذا الفصل من أجدى الأبواب نفعاً لأنه « يتضمن معظم المفردات التى يستعملها العرب فى أسفارهم ومنازلهم فتفيدنا كثيراً من عاداتهم وأمورهم الأهلية(٢) »

هـــذا ومن المعروف أنه ليس لأبى عبيد فى الغريب المصنف باب خاص بهذا العنوان مما يرجح — إذا صح كلام الأب لويس — أن يكون له كتاب فى هذا المعنى ، وبذلك العنوان .

---

(١) البلغة فى شذور اللغة ص ١٢١

(٢) المرجع السابق ص١٢١

١١ — كتاب أمالى أبى عبيد :

يقول السيوطى فى المزهر : « وقال أبو عبيد فى أماليه : حكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه سئل عن قول امرىء القيس :

فطعنهم سلكى ومخلوجة
كرك لأمين على نابل

فقال : قد ذهب من يحسنه »(١) .

ويهمنا من هذه العبارة ذكره أن لأبى عبيد أمالى ومايبدو من نقله عنها أنه رآها .

وقد نسبت الأمالى لكثير من العلماء وطبع كثير منها مثل أمالى القالى ، وأمالى الشريف المرتضى ، وأمالى ثعلب ، وأمالى السهيلى ولم نر أحداً نسب لأبى عبيد أمالى سوى السيوطى .

والظاهر أنها قد ذهبت فيما ذهب من كتبه المفقودة .

١٢ — كتاب الأجناس :

ويسميه بعضهم : « الأجناس من كلام العرب ، وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى » وقد ذكره بروكلمان وأشار إلى نسبه ونشره(٢) .

ومن هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة بعضها موجود بدار الكتب المصرية

---

(١) المزهر حـ٢ ص ٣٢٣

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٦

ضمن مجموع تحت رقم (٢٣٤) بجاميع ، وقد طبع بالهند سنة ١٩٣٨ م ١٣٥٦ هـ ، تصحيح أمتياز عرشي « وهو كتيب صغير يشتمل على نحو ٣٠٠ كلمة كلها مقتبسة من كتاب أبي عبيد نفسه المسمى بالغريب المصنف والذى لا يزال مخطوطاً حتى الآن » .

هذا ما يقوله عنه الدكتور إبراهيم أنيس(١) ، لكن صاحب تذكرة النوادر يرى أن هذه الكلمات مأخوذة من كتاب غريب الحديث للمؤلف نفسه(٢) .

وهذه الكلمات كلها تمثل ما يعرف بالمشترك فى الدراسات اللغوية ومن أمثلتها :

« البيظ : القشر الرقيق الذى يكون داخل قشرة البيضة ، والبيظ ماء قليل يكون فى النقرة ، التى تكون فى أسفل البئر ، والبيظ : خيال الوجة فى السيف ، والبيظ : بيظ النمل ، والبيظ : ماء الرجل) .

الكتوم : الكتوم للسر ، والكتوم الليل ، والكتوم الناقة القليلة الرغاء والكتوم الهذم ، والكتوم الشراب يذهب بالعقل ، والكتوم : الثلج يستر الأرض ، وكل شيء ستر شيئاً فقد كتمه .

الجنان الليل وإنما سمى جنانا لأنه يجن كل شيء بظلمته ، والجنان الفؤاد ، إنما سمى جنانا لأنه يجن السر ، والجنان : الترس ، وإنما سمى جنانا لأنه جنة من السيف والرمح والجنان الثوب الأعلى على الثياب) .

ويرى الدكتور زغلول سلام أن أباعبيد لم يفرد كتاباً للأجناس وأن

---

(١) دلالة الألفاظ / ٢١٤

(٢) مذكرة النوادر / ١٠٧

هذا الكتاب (استخرجه المتأخرون أو بعض تلاميذه من كتابه فى غريب الحديث . .) .

كما يرى أن أبا عبيد يحاول أن يعلل التعدد فى معانى اللفظ فيمهد للبحث فى الإشتقاق(١) .

أما الدكتور إبراهيم أنيس فانه يرى أن الباحث يستطيع استبعاد عدد كبير من تلك الألفاظ المشتركة (لأنها لاتعدو أن تكون من أمثلة التطور الدلالى بين دلالة حقيقية وأخرى مجازية فهو مثلا يعد كلمة (الجنان) من المشترك اللفظى لأنها تعبر عن دلالات أربع هى الليل ، والفؤاد ، والترس ، والثوب الأعلى على الثياب . .) ثم يستغرب تعليل أبى عبيد وذكره السر فى هذه الدلالات المختلفة ثم يقول : (فهو إذن يتجاهل النسب المختلفة فى شيوع الدلالات ويتجاهل فوق هذا أن المشترك اللفظى فى صورته الصحيحة لا يتصور إلا حيث تنقطع الصلة بين الدلالتين كالخال حين يعبر عن الوشم فى الوجه وعن أخ الأم مثلا)(٢) .

وهكذا يرى كل من الدكتورين فى عمل أبى عبيد أمراً يختلف عما رآه الآخر ، تبعاً لموضوع كل منهما ومنهجه .

ويلاحظ أنهما يختلفان أيضاً فى المصدر الذى أخذ منه هذا الكتاب إذ يرى الدكتور أنيس أنه مأخوذ من الغريب المصنف على حين يرى الدكتور زغلول أنه مأخوذ من غريب الحديث .

ولعل من العجيب أن لأبى عبيد فى الغريب المصنف كتاباً سماه (كتاب

---

(١) أثر القرآن فى تطور النقد العربى/١٩١

(٢) دلالة الألفاظ ٢٢١

الأجناس) وهو يختلف فى موضوعة ومنهجه عن ذلك الكتاب الذى هو معنى فقط بالألفاظ المشتركة على النحو السابق .

١٣ — كتاب فى النحو :

كان أبو عبيد لغوياً نحوياً ولكن الظاهر أنه اشتهر أكثر باللغة وأن أكثر مؤلفاته اللغوية كان فيها ومن ثم فإننا لانكاد نعثر فيما أطلعنا عليه على كتاب له فى النحو وإن كنا نلتقى كثيراً ببعض أفكاره النحوية فى تلك الكتب اللغوية والأدبية التى عكف عليها ووقف على الإبداع فيها معظم حياته ، كذلك لانعدم مثل هذه الآراء والأفكار فى كتبه الأخرى على نحو ما أشرنا إليه سابقاً فى الحديث عن آثاره فى كتب الفقه والدراسات القرآنية وغيرها .

ومع هذا فإننا نستطيع القول بأن هذا العالم الواسع الثقافة لم يترك ميدان النحو دون مشاركة تأليفية فيه وأنه لم يكن قاصر العلم بالإعراب على نحو مايزعم أبو الطيب اللغوى ومن اتبعه فى هذا الرأى العجيب(١) .

والذى يؤيدنا فى هذا — إلى جانب مايراه القارىء فى كتبه السابقة أننا تأكدنا من وجود كتاب له على الأقل فى النحو ذكره الإمام اللغوى أبو منصور الأزهرى ونقل منه فى موسوعته الكبيرة المعرفة بالتهذيب أو تهذيب اللغة .

يقول رحمه الله : « أبو عبيد عن الكسائى: يقول فقدك الله مثل نشدتك الله ، وقال أيضاً قعدك الله أى الله معك وأنشد :

---

(١) أنظر مراتب النحويين ٩٣

قعيـــد كما الله الذى أتـــمّاله

ألم تسمعـــاً بالبيتغتين المنـــادنا

قال وأنشد غيره عن قريبة الأعرابية :

فعيـدك عمر الله يا بنت مالك

ألم تعلمينا مأوى المعصب

قال : ولم أسمع بيتاً أجتمع فيه العمر والقعيد إلا هذا ، قال وقال الأصمعى : قصدك لا أفعل ذاك وقصيدك وقال متمم .

قعيدك ألا تسمعينى ملامة

ولا تنكئى فرح الفـؤاد فيجعا

وقال أبو عبيد أيضاً فى كتابه فى النحو : عليا مضر تقول : قصيدك لتفعلن كذا قال : القعيد الأب(١) .

هذا ومازال ذلك الكتاب مغموراً لا يعرف أحد عنه شيئاً مما يرجح فقدانه منذ وقت بعيد .

١٤ — كتاب الإيضاح :

ذكره «بروكلمان» وذكر أنه مخطوط باق فى مكتبة فاس أول (القرويين) ١١٨٣ ولم يبين لنا شيئاً عن موضوعه ، ولم يتهيأ لى بعد الإطلاع عليه ، وقد وضعته فى كتب اللغة بغلبة الظن حيث إن بعض الكتب اللغوية أو النحوية تحمل هذا الإسم وقد كان من عادة القدماء المتابعه والإقتداء فى أسماء الكتب والمصنفات ويظل أمر هـذا الكتاب وحقيقة نسبته فى موضع التوقف حتى نقف عليه إن شاء الله .

---

(١) تهذيب اللغة حـ ١ ص ٢٠٠

١٥ — كتاب استدراك الغلط :

ذكره السيد مرتضى الزبيدى فى مقدمة : تاج العروس(١) ، وذلك ضمن مراجعه التى أعتمد عليها ولم أره — حتى الآن — عند أحد غيره وقد أغفل الدكتور حسين نصار فى حديثة عن مراجع تاج العروس(٢) ، ذكر هذا الكتاب كما يلاحظ أنه نسب الكتابين الآخرين السابقين :أنساب العرب ، وأنساب الخيل إلى أبى عبيدة ولعل هذا من تحريفات النسخ أو من أخطاء الطباعة وكم وعلت ومازالت تفعل بنا تلك التحريفات وهذه الأخطاء حيث لا يفرق بين أبى عبيدة معمر بن المثنى وأبى عبيد القاسم ابن سلام عند الإكتفاء بالكنية إلا وجود تلك التاء أو عدم وجودها .

هذا ولم يبين لنا صاحب التاج موضوع هـــذا ولا أى غلط قد استدرك .

ومما يزيد الأمر غموضاً أن هناك بعض كتب لغوية تحمل هذا الإسم أو شبهه لكنها لا تنسب إلى أى من الشيخين السابقين .

لكن صاحب التاج يؤكد تلك النسبة للكتب الثلاثة بقوله : « كتاب أنساب الخيل وأنساب العرب ، واستدراك الغلط الثلاثة لأبى عبيد القاسم بن سلام » .

---

(١) تاج العروس حـ ص ٤

(٢) المعجم العربى جـ ٢ ص ٦٤١

١٦ — كتاب غريب الحديث :

موسوعة علمية لغوية نسبت إلى أبى عبيد ورويت عنه باسم (غريب الحديث) كما هو عند الأكثر، أو باسم (شرح غريب الحديث) أو (المسند) كما يحلو للبعض أن يطلق عليها ، وقد تسمى أحيانا بغريب أبى عبيد فيحدث ثمة لبس بينها وبين الموسوعة العلمية اللغوية الأخرى التى قدمها أبو عبيد باسم (الغريب المصنف) التى كان للرواة أيضا فى تسميتها ضرب من الاختلاف ربما عرضنا له فيما يستقبل .

وقد أشار النووى إلى اختلافهم فى أسماء الكتب فقال :

(قلت نجد الاختلاف فى أسماء مصنفات المتقدمين كثيراً ، وهذا الاختلاف نشأ من جامعيها وكتابها ، مثلا : المصنف لابن أبى شيبة كان يسمى بالمسند كما ذكره ابن النديم ، وغريب الحديث لأبى عبيد كان يسمى أيضا بالمسند كما تقدم ، وكذا الصحيح لابن حبان المذكور كان يعرف بكتاب الأنواع والتقاسيم)[1] .

وقد وثقت هذه النسبة كل أقوال من أرخوا لأبى عبيد ، وكان على رأسهم فى هذا ابن النديم ، والزبيدى ، والبغدادى ، والقفطى ، وابن خلكان ، والنووى ، والسبكى ، وابن الأثير ، وحاجى خليفة ، والزركلى وإن خلط بين غريب الحديث والغريب المصنف فيما يبدو ، وبروكلمان ، وجرجى زيدان وغيرهم .

وقد أكد السابقون فى حديثهم بذكر روايات النسبة أو الأخذ عنه والسماع له ، بينما أكد المحدثون أقوالهم بالإشارة إلى وجود هذا الكتاب

---

(١) تذكرة النوادر / ٩٣

وإلى ماسلم لنا من مخطوطاته ونسخه ، قبل أن تبرز حروفه وكلماته آلات الطباعة فى السنوات الأخيرة .

وقد أراد بعضهم أن يجعل من سماع هذا الكتاب وروايته دليلا على قيمته العلمية وشرفه فكانوا حريصين على بيان أن أول من سمعه أو كتبه أو قرىء عليه قوم هم أئمة عصرهم ، وشيوخ زمانهم ، بل إن منهم من امتدت راية إمامته ، ومظلة ريادته إلى عصرنا وإلى كل العصور التى يأذن الله بها إلى يوم الدين .

فقد ذكر البغدادى فى تاريخ بغداد ، والقفطى فى إنباه الرواه نقلا عن معاصرى أبى عبيد أن أول من سمع هذا الكتاب هو يحيى بن معين وأن أول من كتبه هو الإمام أحمد بن حنبل .

يقول القفطى « وأول من سمع هذا الكتاب من أبى عبيد يحيى بن معين، وعرض هذا الكتاب على أحمد بن حنبل فاستحسنه وقال : جزاه الله خيرا، وكتب أحمد كتاب غريب الحديث الذى ألفه أبو عبيد أولا »(١) .

ويذكر رواية أخرى فيقول : وقال جعفر بن محمد بن على المدينى سمعت أبى يقول : خرج أبى إلى أحمد بن حنبل يعوده وأنا معه قال : فدخل عليه وعنده يحيى بن معين وذكر جماعة من المحدثين . قال : فدخل أبو عبيد القاسم بن سلام ، فقال له يحيى بن معين : إقرأ علينا كتابك الذى عملته للمأمون فى غريب الحديث ، فقال : هاتوه فجاءوا به ، فأخذه أبو عبيد فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد ، ويدع تفسير الغريب ، قال : فقال له أبى : يا أبا عبيد دعنا من الأسانيد نحن أحذق بها منك ، فقال يحيى بن معين لعلى بن المدينى : دعه يقرأ على الوجه ، فإن إبنك محمدا معك ونحن نحتاج

---

(١) إنباه الرواه ٣/١٦

إلى أن نسمعه على الوجه ، فقال أبو عبيد : ما قرأنه إلا على المأمون ، فإن أحببتم أن تقرءوه فاقرءوه ، قال : فقال له على بن المدينى إن قراءته علينا أولى و إلا فلاحاجة لنا فيه — ولم يعرف أبو عبيد على بن المدينى — فقال ليحيى بن معين : من هذا ؟ قال هذا على بن المدينى ، فالتزمه وقرأه علينا . فمن حضر ذلك المجلس جاز أن يقول : حدثنا وغير ذلك فلا يقول(١) .

وهكذا تم السماع الأول ، والقراءة الأولى على أهل العلم والشرف من عصبة الخير التى بدأت بأمير المؤمنين العالم ، وانتهت بتلك الكوكبة من علماء الحديث والفقه .

ولم يحرم من ذلك — فيما بعد — كل تلاميذ أبى عبيد وفى مقدمتهم تلميذه النجيب وراويه الأول على بن عبد العزيز .

وما كان أبو عبيد ليبخل بهذا الكتاب على العلماء ، وطلاب العلم وإن تكبر به على أهل الدنيا وأرباب الحكم والسياسة .

فقد كان يأتى للعلماء فى دورهم على نحو مارأينا ولا يأتى الأمراء إذا دعوه لذلك ، فقد ذكروا أن طاهر بن عبد الله كان يود أن يأتيه أبو عبيد ليسمع منه كتاب « غريب الحديث » فى منزله . فلم يفعل إجلالا لحديث رسول الله ﷺ فكان هو يأتيه ، وقدم على بن المدينى وعباس العنبرى فأراد أن يسمعا « غريب الحديث » فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه إجلالا لعلمهما . يقول الراوى : « وهذه شيمة شريفة رحم الله أبا عبيد »(٢) .

---

(١) إنباه الرواه ٣/١٧ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق ٣/١٧ .

وعن هؤلاء الأعلام وغيرهم من تلامذة أبي عبيد سارت رواية هذا السفر الجليل تنتقل من جيل إلى جيل ، وحفظ التاريخ أسماء كثير من الأعلام الذين قرأوا أو سمعوا أو كتبوا غريب الحديث لأبي عبيد .

ونحن لا نستطيع أن نحصي كل هؤلاء ، وليس من منهجنا هنا ذلك ، وإنما هي أسماء نذكرها للعلم والتاريخ .

لقد روى الأزهري أبو منصور هذا الكتاب ، وحصله كما ذكر وكما نرى في معجمه « تهذيب اللغة » من أهم مصادره ووصفه بالنبل والشرف(١).

وذكر ابن خـــير الإشبيلي في فهرسته طرقا عديدة لروايته غريب الحديث(٢) .

ومن الأعلام الذين كانوا يروونه ويحفظون سنده الشاعر المعروف أبو العلاء المعري (٣) .

ومنهم ابن الوزان فقد قرأ على ابن عيذون شرح غريب الحديث لأبي عبيد كما يقول الزبيدي (٤) .

وكان من آثار تلك الرواية والإقبال على حفظ هذا الأثر المهم وكتابته أن وصلت إلينا عدة نسخ مخطوطة منه بعضها قريب العهد جدا بمؤلفه .

فقد ذكر « بروكلمان » (٥) أن في مكتبة الأزهر بمصر أقدم نسخة من

---

(١) تهذيب اللغة ١/٢٠ .
(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه / ١٨٦ .
(٣) أنباه الرواة ١/٦٩ .
(٤) طبقات اللغويين والنحويين ص ٢٦٩ .
(٥) تاريخ الأدب العربي ٢/١٥٦ .

هذا الكتاب ، فقد كتبت سنة ٣١١هـ ٩٢٣م وأحالنا إلى مجلة المجمع العلمى العربى ١٣/٤٠٦ وفيها تقرأ عن زيارة سمو الأمير سعود لمكتبه الأزهر ما نصه : « ووقف على كتاب خط يعتبر من أثمن الكتب العربية فى العالم ، ولا توجد منه فى مصر غير نسخة واحدة فى هذه المكتبة وهو كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ .

وهذا الكتاب مخطوط بقلم شرقى بخط أبى الخطاب الحسينى ومكتوب فى سنة ٣١١ هـ » (١).

وقد حاولت رؤية هذه النسخة ، فلم يقبل المسئولون وقدمت إلى نسخة منقولة منها ، ذات خط حسن مضبوط ، وذلك حفاظا — كما قيل يومها على تلك النسخة القديمة النادرة .

كما ذكر « بروكلمان » أن هناك نسخا أخرى من الكتاب فى ليدن ، وكوبريلى ، ورامبور ، ومكتبة شيخ الإسلام ، والمكتبة السندية وأشار إلى أنه تقرر نشره فى حيدر أباد فى برنامج سنة ١٣٥٤ (٢) رقم ٥ .

وقد نشر الكتاب فعلا فى أربعة مجلدات ، وذكر الناشر أنه سيتلوها غيرها بالفهارس والملاحق المطلوبة ، وتم تصحيحه عن أربع نسخ وصفها القائم بالتصحيح ، وكانت المفاجأة فى هذا تأتى فيما ذكره هذا المصحح من أن نسخة « ليدن » أقدم من نسخة الجامع الأزهر ، فقد وجد بآخرها مالفظـــه :

« آخر الكتاب صلى الله على محمد وسلم كثيرا ، فرغ منه فى ذى القعدة سنة ثنتين وخمسين ومائتين (١) » .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى س ١٣ م ١٣/١٩٣٣ ص ٤٠٦ وما بعدها .
(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٦ .
(٣) غريب الحديث : المقدمة ص يو .

فهى إذن كما يقول المصحح : « أقدم نسخة وصلت إلينا لأنها كتبت بعد ثمان وعشرين سنة فقط من وفاة المؤلف » وقد ذكر المصحح أنها مشوشة وغير مرقمة (١) .

ومما لا شك فيه أن نشر هذا الكتاب يعد كسبا ضخما لعلوم اللغة والحديث ، وإن كانت تلك النشرة ما تزال فى حاجة إلى جهـــود أخرى كبيرة ، تظهر هذا الكنز على وجهه ، وتبرز ما فيه من درر وجواهر .

وعندما تتأكد النسبة والرواية والكتابة والنشر فإن من حق القارىء أن يتساءل عن موضوع هذا الكتاب ، وعن منهجه ، وعن تاريخ تأليفه وكيفيته وظروفه ، وعن مصادره ؟ وعن أهميته وأثره ؟ وعما دار حوله من دراسات ؟ وعن غير ذلك مما يتصل بمادته وما يحويه من ضروب العلم وألوان الثقافة المختلفة . . ؟ .

ولست أدعى — وقد قرأت أكثر هذا الكتاب مخطوطا — قبل أن أحصل عليه مطبوعا — أننى أستطيع توفية كل هذه النقاط فى غير بحث مستقل بهذا الكتاب .

ولكننى — بالطبع — أستطيع بمعونة الله أن أقدم فى هذا ما يناسب المقام ، ويشفى الأوام .

إن موضوع هذا الكتاب هو الألفاظ الغريبة التى وردت فى أحاديث النبى ﷺ وآثار صحابته وتابعيهم .

والهدف هو جمعها وتفسيرها وتوصيحها .

---

(١) المرجع السابق .

واللفظ الغريب كما يقول الخطابي: هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس وقال : إن الغريب من مكلام يستعمل على وجهين :

« أحدهما أن يراد أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغر بنا »(١) .

وقد ارجع الخطابي وجود الغرابة فى حديث رسول الله ﷺ إلى ما يأتى :

— كثرة المواطن والموضوعات التى يتحدث فيها النبى ﷺ واختلاف عباراته ، وتكرر بيانه ، وحفظ الصحابة لكل ما يصدر عنه فى الموضوع الواحد فيجمع لذلك فى القضية الواحدة عدة ألفاظ تحتها معنى واحد » .

— تنوع صور تأدية مايسمع منه ﷺ بتنوع لغات وألسنة المستمعين « فيجمع فى الحديث الواحد إذا انشعبت طرقه عدة ألفاظ مختلفة موجبها شيء واحد » .

وقد أرجع ابن الأثير نشأة الغرابة إلى عامل الجهل بلغة الحديث فى عهد النبى ﷺ ، وفى عصر الصحابه ،وتحول اللسان بعد عصرهم أعجميا «فصرف العلماء طرفا من عنايتهم فألفوا فى حراسة هذا العلم(٢) .

---

(١) كشف الظنون ٢/١٥٥

(٢) أنظر مقدمة غريب الحديث ج ١ ص ب وأنظر مقدمة النهاية ١/٤

ولست أرى تناقضا بين ما رآه الخطابي وما رآه ابن الأثير فكلا العاملين أو كل العوامل تشترك فى إختفاء لون من الاستغراب على جزء من ذلك الكلام المروى عن رسول الله ﷺ وعن صحابته وتابعيهم ، وتلك طبيعة التطور تجعل معروف اليوم مجهولا فى الغد ، واللغة أصلا لا يحيط بها إلا نبى كما يروى عن الشافعى رضى الله عنه .

فإذا ما أحس المجتمع اللغوى بهذه الغرابة ، أو بعدم الوضوح النسبى ، فعليه أن يبادر بالشرح والترضيح ، ويكون ذلك محتوما إذا كان النص المستغرب من كتاب الله أو من حديث رسول الله ﷺ .

وهذا ما فعله علمـــاء العربية خدمة لـكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

وهذا ما فعله أبو عبيد ، وما قضى فيه خلاصة عمره كما يقول : « إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة وهو كان خلاصة عمرى »(١) .

وفى عبارة أخرى نراه يقول : مكثت فى تصنيف هذا الـكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها فى موضعها من الـكتاب فأبيت ساهرا فرحا منى بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئنى فيقيم عندى أربعة أو خمسة أشهر فيقول : قد أقمت كثيرا(٢) » .

ويا لها من عبارة قيمة تبين لنا مدة تأليف هذا الـكتاب وترشدنا إلى طريقة هذا التأليف ، وتوضح لنا مصادره .

---

(١) النهاية لابن الأثير ص ٦

(٢) وفيات الأعيان ٣/٢٢٥

فالظاهر أن أبا عبيد كان يقسم كتابه على النحو الذى نراه على أساس المسانيد ، ثم يضع أحاديث كل مسند ، ثم يبحث بعد ذلك عن الغريب فى كل حديث .

فإذا ما وضع يده عليه بحث عن معناه . وما يوضحه ويزيل غرابته ، فإذا ما هيأ الله له ذلك من أفواه العلماء أسرع إلى كتابه فسجله فى مكانه منه ، وتلك طريقة رائعة متأنية فى التأليف وهى تعد اليوم من أحدث ما ينادى به المنهج التأليفى فى عصرنا الحاضر .

إن أربعين سنة بهذا المنهج تعد فترة خصبة لإخراج مثل هذا العمل .

وهى ترد — إلى جانب كيفية التأليف — على من زعموا إعتماد شيخنا على كتاب أو كتب سابقة ، فالذى يعتمد أو ينتزع من الكتب السابقة لا يقضى أربعين سنة فى مثل هذا العمل .

وكان الله لأبى الطيب اللغوى عندما يريد الحط من قدر أبى عبيد فيقول: « وأما كتابه فى غريب الحديث . فإنه اعتمد فيه على كتاب أبى عبيدة معمر ابن المثنى فى غريب الحديث(١) » .

ويدفعنا هذا إلى التساؤل عن كتاب معمر بن المثنى ؟ وهل يصلح حقا أن يكون معتمدا لهذا السفر العظيم ؟ بل إننا لنتساءل عن غيره من الكتب التى سبقت أبا عبيد وعن أثرها بالنسبة لعمله .

لقد ذكر المؤرخون لعلم غريب الحديث أن الكتب التى سبقت أباعبيد كانت على النحو التالى :

---

(١) مراتب النحويين ٩٣

١ — كتاب غريب الحديث لأبى عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى وكان معاصرا لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وقد وصف كتابه بأنه ليس بالكبير (١) .

ولم يذكر أحد أن أبا عبيد قد أخذ عنه .

٢ — كتاب غريب الحديث لأبى عبيدة معمر بن المثنى وقد وصف ابن الأثير هذا الكتاب بأنه صغير ذو أوراق معدودات(٢) فهل يعقل إعتماد أبى عبيد عليه ؛ إن الدكتور حسين نصار يعلق على هذا بقوله «وهو قول لا يمكن تصديقه لضخامة كتاب أبى عبيد ووصف المؤرخين كتاب أبى عبيدة بالقلة المفرطة »(٣) .

٣ — كتاب غريب الحديث للنضر بن شميل وقد وصفه ابن الأثير أيضا بالصغر ولطف الحجم(٤) ولم يزعم أحد أن أبا عبيد قد اعتمد عليه .

وقد نسبت كتب فى غريب الحديث أيضا إلى قطرب ، والأصمعى ، وأبى زيد الأنصارى ، وسلمة بن عاصم الكوفى .

ولكن هذه الكتب وصفت جميعاً بما وصف به كتاب أبى عبيدة معمر ابن المثنى من الصغر وقلة الخطر .

ولذلك يقول ابن الأثير : « واستمرت الحال إلى زمن أبى عبيد القاسم ابن سلام وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار

---

(١) المعجم العربى ١/٥٠ وما بعدها
(٢) النهاية ١/٥
(٣) المعجم العربى ١/٥٣
(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/٦

الذى صار . وإن كان أخيرا — أولا لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعانى اللطيفة والفوائد الجمة فصار هو القدوة فى هذا الشأن فإنه أفنى فيه عمره وأطاب به ذكره حتى لقد قال فيما يروى عنه : إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة وهو كان خلاصة عمرى .

ولقد صدق رحمه الله فإنه احتاج إلى تتبع أحاديث رسول الله ﷺ على كثرتها وآثار الصحابة والتابعين على تفرقها وتعددها حتى جمع منها ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها ، وحفظ رواتها، وهذا فن عزيز شريف لا يوفق له إلا السعداء »(١) .

فهل يمكن القول بعد ذلك إلا أن أباعبيد كما ذكر كثير من المؤرخين هو صاحب هذا الفن ورائده وصاحب السبق والأولية فيه .

لقد كانت مصادر أبى عبيد فى الأحاديث هم شيوخه الذين أخذ عنهم وسمع منهم ، أما فى اللغة فإن الناظر فى الكتاب يرى أنه يروى أيضا عن شيوخه الذين ثبت اتصاله بهم وسماعه منهم كالأصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد الأنصارى ، وأبى عمرو الشيبانى ، والكسائى ، وغيرهم .

وعلى الرغم من كثرة الروايات ، ونسبة **كل** قول إلى صاحبة كما هو شأن أبى عبيد فى كل مصنفاته فإن شخصية أبى عبيد تظهر واضحة بما يضيف، وبما يوفق ، وبما ينقد .

ويمكننا إيجاز منهج أبى عبيد هنا فيما يأتى :

١ — ذكر الحديث ، ثم ذكر سنده وإن كانت بعض النسخ لا تذكر السند مما جعل بعضهم يتشكك فى كونها ممثلة للكتاب ويرى أنها تمثل أحد

---

(١) المرجع السابق ١/٦ .

مختصراته ، ولقد أخبرنى بهذا أستاذى المحقق الأستاذ السيد أحمد صقر عندما عرضت عليه المخطوطة التى(١) حصلت عليها وقرأ على بعض الأحاديث بإسنادها على أنها منقولة من غريب الحديث لأبى عبيد ولم يخبرنى يومها عن مصدره ، وربما أيد هذا ما سبق أن نقلناه فى موضوع قراءة الكتاب على يحيى بن معين وأحمد بن حنبل .

ومن الملاحظ أن النسخة المطبوعة لا يذكر فيها هذا السند وأن المصحح ينقل ذلك عن نسخة أخرى ويضعه فى هامش الصفحات .

٣ — شرح اللفظ أو الألفاظ الغريبة فى الحديث ببيان معناه وإيراد بعض مشتقاته .

٣ — الاستشهاد على ما سبق بالشعر ، والقرآن الكريم ، وبعض الأحاديث الأخرى .

٤ — نسبة الأقوال إلى أصحابها .

٥ — الموازنة أحيانا بين الأقوال وترجيح بعضها على بعض .

٦ — التعرض لبعض الفقهيات ، والبلاغيات ، وغيرها من ألوان العلوم . وإنه لمنهج جيد يستحق ما وصفه به ابن الأثير من أنه قد تميز بصفات هى :

« بيان اللفظ ، وصحة المعنى ، وجودة الاستنباط ، وكثرة الفقه(٢) » وإنه ليستحق حقا أن يقال عنه إنه لولاه لاقتحم الناس فى الخطأ(٣) وأن يقال عن عقل صاحبه « إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا

---

(١) وهى مصورة عن نسخة كوبريلى ٤٥٥

(٢) النهاية فى غريب الحديث والاثير جـ١ صـ٧

(٣) وفيات الاعيان ٣/٢٢٦

الكتاب لحقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش ، وهذه عبارة عبد الله بن طاهر عندما عرض عليه هذا الكتاب وقد أتبعها بإجراء عشرة آلاف درهم لأبى عبيد فى كل شهر حتى يتفرغ ذلك العقل للعلم والابداع(١) .

ولقد انتفع الناس بهذا الكتاب ايما انتفاع وظهرت له آثار عديدة ودارت حوله دراسات مختلفة .

وكان أول أثر لهذا الكتاب يتمثل فى اتخاذه قدوة إذ فتح الله به بابا من العلم ولجه كثيرون من بعد أبى عبيد مثل ابن قتيبـــه ، وإبراهيم ابن اسحق الحربى ، وشجر بن حمدويه ، وأبى العباس ثعلب ، وأبى العباس المبرد ، وأبى بكر الانبارى ، وأحمد بن حسن الكندى ، وأبى عمرو محمد ابن عبد الواحد صاحب ثعلب ، وأبى سليمان الخطابى الذى أثنى كثيرا على كتاب أبى عبيد وغيرهم كالزمخشرى ، وابن الاثير والسيوطى صاحب التذييل(٢) وغيرهم من أهل العلم والفضل(٣) .

وقد أفاد منه فائدة كبرى أصحاب المعاجم التى ألفت بعده وقد صرح بهذا كثيرون منهم كالأزهرى الذى يقول عنه : ولأبى عبيد من الكتب الشريفة كتاب غريب الحديث قرأته من أوله إلى آخره ، على أبى محمد عبد الله بن محمد ابن هاجك(٤) ... » .

ويقول أيضا : « فما كان فى كتابى لابى عبيد عنه فى غريب الحديث

---

(١) إنباه الرواة ٣ / ١٦

(٢) انظر : التذييل والتذنيب على نهاية الغريب

(٣) انظر : مقدمة النهاية لابن الاثير وانظر : المعجم العربى حـ ١ صـ ٥٠ وما بعدها

(٤) تهذيب اللغة حـ ١ صـ ١٤

فهو مما حدثنى به عبد الله بن هاجك عن إبن جيلة عن أبى عبيد(١) ، وفى التهذيب ترى نقولا كثيرة من غريب الحديث لأبى عبيد خاصة إن الأزهرى كان معروفاً بالانجاه الدينى فى مصنفاته .

وكذلك ابن فارس الذى يقول فى مقدمة مقاييسه ذاكرا مراجعه « ومنها كتابا أبى عبيد فى غريب الحديث و « مصنف الغريب » حدثنا بهما على بن عبد العزيز عن أبى عبيد(٢) .

وقد دارت حوله كتب ودراسات عديدة تعرض بعضها لنقده أو الرد عليه .

وأشهر هذه الكتب كتاب إصلاح الغلط أو إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث لابن قتيبة الذى شرحه أيضا أبو المظفر محمد بن آدم المتوفى سنة ٤١٤ هـ(٣) .

ومن إصلاح الغلط نسخة بأبا صوفيا تحت رقم ٤٥٧ ذكرها(٤) بركلمان ونسخه أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق(٥) وقد امتلكت مصورة عن النسخة الاولى عن طريق صورتها بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

وقد نشر هذا الكتاب الاستاذ الفرنسى حيراد لو كنت فى مجلة كلية القديس يوسف ببيروت سنة ١٩٦٨(٦) ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٤

(٢) مقاييس اللغة ١ / ٤

(٣) ذكره محقق إنباه الرواة نقلا عن كشف الظنون . الانباه ٢/١٤٤ والكشف ١ / ١١٢

(٤) تاريخ الادب العربى ٢ /١٥٦

(٥) ابن قتيبة اللغوى ص ٦٢

(٦) المرجع السابق ص ٦٢

وقد ذكر الأزهرى هذا الكتاب وأشار إلى موقفه مما ذكره ابن قتيبة من أخطاء أبى عبيد فقال فى حديثه عن ابن قتيبة : « ورد على أبى عبيد حروفاً فى غريب الحديث سماها إصلاح الغلط وقد تصفحتها كلها ووقفت على الحروف التى غلط فيهـــا وعلى الأكثر الذى أصاب فيه فأما الحروف التى غلط فيها فإنى أثبتها فى موقعها من كتابى ودللت على موضع الصواب فيما غلط فيه »(١) .

وممن رد على أبى عبيد أيضاً فى غريب الحديث أبو سعيد البغدادى الضرير ذكره الأزهرى وقال : « ورد على أبى عبيد حروفاً كثيرة من كتاب غريب الحديث . . . وقدم عليه القتيبى فأخذ عنه »(٢) وربما كان لهذه العلاقة أثر فى نقد القتيبى لأبى عبيد .

ومنهم أيضاً حسن بن عبد الله المعروف بلكنذة أو لفذه ، وصعوداً وعلى بن حمزة البصرى(٣) .

ومما ورد فى نقده أيضاً ماجاء فى تاريخ بغداد « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائتى حرف سمعت والباقى قال الأصمعى وقال أبو عمرو وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها أدنى فيها أبو عبيد من أبى عبيدة معمر ابن المثنى »(٤) .

والظاهر أن النقد الذى ذكره ورد عليه صاحب طبقات الشافعية نقلا عن الأزهرى كان موجهاً أيضاً إلى بعض مواد غريب الحديث .

---

(١) تهذيب اللغة ١/٣١
(٢) المرجع السابق ١/٢٤
(٣) المعجم العربى ١/٥٣
(٤) تاريخ بغداد ١٣/٤١٢

يقول ابن السبكى : حكى الأزهرى فى التهذيب عن أبى عبيد القاسم ابن سلام فى قوله ﷺ « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » أن المراد بهذا القسم قوله تعالى : وإن منكم إلا واردها فإذا مر بها متجاوزاً لها فقد أبرأ الله قسمه ثم اعترض الأزهرى بأنه لا قسم فى قوله : وإن منكم إلا واردها فكيف يكون له تحلة . . . إلخ كلام الأزهرى ويرد ابن السبكى فيقول : قلت وهو اعتراض عجيب فإن القسم مقدر فى قوله وإن منكم لأن القسم عند النحاة يتلقى بالنفى والإثبات والتقدير : والله إن منكم إلا واردها ... الخ »(١) .

وقد جرت بعض الاختصارات لهذا الكتاب ذكر بروكلمان منها مختصر غريب الحديث للاستراباذى وهو أبو على الحسين بن أحمد وذكر أنه موجود فى برلين .

كما ذكر أن هناك اختيارات من غريب الحديث فى مكتبة كوبريلى ٤٥٥ وقد أشار أيضاً إلى أن كتاب الأجناس إنما هو من استخراج أبى عبيد نفسه من كتاب غريب الحديث(٢) .

وكما حاول بعضهم اختصاره فقد أضاف بعضهم إليه وزاد فيه وكان أهم هذه الزيادات « كتاب مازاد فى المصنف وغريب الحديث » لمحمد ابن أبى جعفر المنذرى الخراسانى اللغوى العدل أبو الفضل(٣) وأبو الفضل هذا هو صاحب الأزهرى وقد سبقت الإشارة إلى زياداته فى كتاب الأمثال

---

(١) طبقات الشافعية ١/٢٧٢

(٢) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٦

(٣) انظر : إنباه الرواة حاشية ص ٧١ وقد نقل المحقق ذلك عن ياقوت .

وقد جرت محاولات ودراسات أخرى لترتيب هذا الكتاب أو تقريبه نذكر منها :

— كتاب الغريبين لأبى عبيد الهروى الذى حاول فيه الجمع بين غريب القرآن وغريب الحديث وترتيب ذلك على الحروف الأصول وكان كتاب أبى عبيد فى غريب الحديث مما جمعه فيه(١) .

— تقفية غريب الحديث لعلى بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقى بن أبى جرادة العقيلى أبى الحسن شيخ العلماء فى وقته بحلب .. يقول القفطى: ولم يكن من أهل العربية على التحقيق وإنما ذكرته هاهنا لأنه تعرض إلى غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام رضى الله عنه فقفاه على حروف فشارك بهذا التصنيف أهل اللغة ، فذكرته فى هذا المصنف وملكت هذا التصنيف وفيه ما فيه توفى سنة ٥٤٦ أو سنة ٥٤٨(٢) .

— كتاب تقريب المرام فى غريب القاسم بن سلام للشيخ الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتبه على غريب الحديث لأبى عبيد مبوباً على الحروف(٣) .

— تقريب الغريبين لأبى عبيد وابن قتيبة جمعه واختصره الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازى(٤) .

كتاب تهذيب غريب الحديث للخطيب التبريزى ذكره صاحب إنباه

---

(١) انظر النهاية ١/٩

(٢) إنباه الرواه ٢/٢٨٥

(٣) كشف الظنون ١/٢١٨ والبلغة فى أصول اللغة ص ١١٣

(٤) فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه ص ١٩٥

الرواة قال : وقد روى أبو العلاء ولم يكن مكثرا وذلك أنى شاهدت بخط ابن كهبار الفارسى صاحب الخطيب أبى زكريا التبريزى والأخذ عنه — وكان ذكيا فاضلا محققا لما ينقله حاكيا عن صاحبه فى تصنيفه لتهذيب غريب الحديث لأبى عبيد .)

وقد ذكر التبريزى أنه قرأ غريب الحديث على أبى العلاء المعرى سنة خمس وأربعين وأربعمائة وأسنده أبو العلاء إلى على بن عبد العزيز صاحب أبى عبيد(١)

كتاب تصنيف غريب الحديث على حروف المعجم ذكره صاحب إنباه الرواه فقال عن عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبى محمد السعدى الأندلسى الشاطبى وصنف غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم ، وجعله أبوابا . ومات سنة ٤٦٥ هـ فى شهر رمضان فى حران(٢)

وأخيرا فقد صدق ماروا أبو على القالى غـــير مرة قال : قال لنا أبو بكر بن دريد وابن الأنبارى : كتاب الألفاظ بضاعة و كتاب اصلاح المنطق بضاعة، و كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة بضاعة ، و كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد بضاعة ، و كتاب شرح غريب الحديث له بضاعة(٣)

---

(١) إنباه الرواه ١ / ٦٩

(٢) إنباه الرواه ٢ / ١٨٣

(٣) فهرسة ماروا عن شيوخه ٣٢٦

الغريب المصنف :

وهو أعظم كتب أبي عبيد وأجلها عند العلماء ذكرا يقول الأزهري :

وأخبرني أبو بكر الأبادي عن شمر أنه قال : ماللعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد(١) ، وفي تاريخ بغداد : وليس له كتاب مثل غريب المصنف ،(٢) بل إن أبا عبيد نفسه يبجل هذا الكتاب ، ويعبر عن قيمته فيما يرويه علي بن محمد ابن وهب المشعري عن أبي القاسم بن سلام قال : سمعته يقول :هذا الكتاب يعني غريب المصنف أحب إلي من عشرة آلاف دينار »(٣) .

وإذا كان القدماء قد قالوا هذا وغيره فإن المحدثين أيضا قد أدركوا قيمة هـــذا الكتاب ، وعبروا عن تقديرهم له ، كل حسب معرفته به ، أو حاجته إليه .

فقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أبا عبيد فقال . أما أبو عبيد فيعد ممن ساهموا في جميع الألفاظ ونشأة المعاجم بكتابه الضخم الذي لايزال مخطوطا حتى الآن وهو الغريب المصنف ، وهو معجم مرتب على حسب المعاني(٤)

ويذكر الدكتور حسين نصار فضل أبي عبيد في هذا الكتاب ويشير إلى أن شهرته - على الرغم مما به من تصحيفات قد طبقت الآفاق »(٥)

---

(١) تهذيب اللغة حـ ١ ص ٢٠

(٢) تاريخ بغداد حـ ١٢ ص ٤١٣

(٣) معجم الأدباء حـ ١٦ ص ٢٦٠ وانظر الفهرست ص ١١٣

(٣) دلالة الألفاظ ص ٢٢٦

(٥) المعجم العربي حـ ١ ص ١٠٨

ويقول الثعالبي : « معجم غريب جليل على كثيرة عيوبه يعد مصدرا وأما من أمهات اللغة على عدم إحاطته »(١) .

أما المستشرق الكرنكوى فإنه يقول عنه : هذا ذخيرة اللغة العربية على أسلوب غير المعاجم ولكنه مرتب على مثال كتاب المخصص »(٢)، ولو عكس لكان أفضل إذ أن المخصص هو الذى رتب على مثاله .

من هذا وغيره يتضح الإحساس عند الجميع بأهمية هذا الكتاب وعظم خطره ، ومن ثم فقد كان جديرا بتلك الدراسة الخاصة التى أوليتها له أسأل الله أن يعين على إخراجها قريبا .

ومع هذا فإننا لا نرى بأسا فى إلقاء نظرة مناسبة عليه فى هذا المقام .

لقد اختلف القدماء فى تسميته على نحو ما حدث لكتاب غريب الحديث ولغيره من الكتب القديمة كما أسلفنا ، وإن كان الاختلاف هنا أوسع فقد رأينا له فيما اطلعنا عليه ، حوالى ستة أسماء متقاربة غالبا وهى : الغريب المصنف : كما عند ابن خلكان ، والسيوطى ، وكثير من المحدثين .

٢ — غريب المصنف ، كما هو عند ابن النديم ، والبغدادى ، والسيوطى .

٣ — المصنف : كما عند الأزهرى ، والزبيدى ، والسيوطى أيضا .

٤ — المؤلف : كما هو عند الأزهرى .

٥ — مصنف الغريب : ذكره ابن فارس ، والزمخشرى .

---

(١) المخصص لابن سيده : دراسة ودليل ص ٢٤

(٢) تذكرة النوادر ص ١٠٧

٦ — غريب اللغة : كما ذكره الفيومى فى المصباح المنير .

ويلاحظ من هذا أن بعضهم كان يذكره بأكثر من تسمية على نحو ما نراه عند السيوطى، والأزهرى ، وأن التسمية الأولى هى الأكثر شيوعا والأعم استعمالا وبخاصة عند المحدثين .

والظاهر أن هذا الاسم لم يكن جديدا على أبى عبيد فقد سبق إلى استعماله بعض أساتذته مثل أبى عمرو الشيبانى، كما استعمله أيضا بعض علماء الحديث واللغة كقطرب ، والقاسم بن معن الكوفى ، ولكننا لا نكاد نلمحه عند المصنفين بعد أبى عبيد .

وقد سبق أن ذكرنا المعنى اللغوى لكلمة الغريب ، ويمكن أن نضيف هنا ما ذكره التهانوى عن هذا المعنى إذ يقول : الغرابة كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال سواء كانت بالنظر إلى الأعراب الخلص أو بالنظر إلينا ، وتلك الكلمة تسمى غريب ويقابله المعتاد ، ويرادفه الوحشى، فالغريب منه ما هو غريب حسن وهو الذى لا يعاب استعماله على الأعراب الخلص ، لأنه لم يكن ظاهر المعنى ، ولا غير مأنوس الاستعمال عندهم ، وذلك مثل : شرنبث ، واشمخر ، واقطر ، وهى فى النظم أحسن منها فى النثر ومنه غريب القرآن والحديث ، وهذا غير مخل بالفصاحة ، ومنه غريب قبيح وهو الذى يعاب استعماله مطلقا أى عند الخلص من الأعراب وغيرهم »(١) .

ويزيدنا الزمخشرى توضيحا وقربا من هدفنا وهو معرفة معنى هذا الاسم فيقول رحمه الله : « وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ، ونقول : فلان يعرب كلامه ويغرب فيه ، وفى كلامه غرابة وغرب كلامة ،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون م (٢) ١٠٨٦